بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وسلم

عونك اللهم وتيسيرك

اللهم إنّا نعوذ بك من فتنة القول ، كما نعوذ بك من فتنة العمل : ونعوذ بك من التكلف لما لا نُحسن ، كما نعوذُ بك من العُجْبِ بما نُحسن . ونعوذ بك من السَّلاطة والهَذَر(١) كما نعوذ بك من العِيِّ والحَصَر ، وقد يمّا تعوّذوا بالله من شرّهما ، وتضرعوا الى الله في السلامة منهما

وقد قال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب : (٢)

أعِذْني ربِّ من حَصَرٍ وعِيّ ... ومن نَفْسٍ أعالجها عِلاجا

وقال الهُذَلِيُّ : (٣)

---

(١) السلاطة : البذاءة . والهذر : الاكثار من الكلام الفارغ

(٢) النمر بن تولب العكلي : شاعر مخضرم أسلم وحسن أسلامه ، وكان من أجواد العرب المذكورين ، وفرسانهم المشهورين ، وكان شاعراً فصيحا وشجاعا كريما ، لقبه أبو عمرو بن العلاء بالكيس لحسن شعره . وقال عنه حماد الراوية : انه كثير البيت السائر والمتمثل به . وهـذا البيت الذى تمثل به الجاحظ أحد أبيات هو أولها و بعده :

ومن حاجات نفسي فاعصمني ... فان لمضمرات النفس حاجا

فانت وليها و برئت منهـا ... اليك فما قضيت فلا خلاجا

شاخ حتى خرف ، وكان هجيراه في خرفه : أصبحوا الضيف ، أغبقوا الضيف

(٣) الهذلى هذا هو أبو العيال بن أبي عنترة من سعد هذيل . كان شاعراً فصيحا أدرك الجاهلية والاسلام ، وأسلم فيمن أسلم من هذيل . والبيت الذى جاء به الجاحظ هو من قصيدة يرثى بها ابن عمه عبد بن زهرة . يقول فيها :

ألا لله درك من ... فتى قوم اذا رهبوا

وقالوا من فتى للحر ... ب يرقبنا و يرتقب

ولا حَصِرٌ بخطبتِـهِ إذَا ما عَزَّتِ الخُطَبُ

وقال مكيُّ بنُ سوادة : (١)

حَصِرٌ مُشِبٌّ جَرِيءٌ جبانٌ خيرُ عِيِّ الرِّجالِ عِيٍّ سَكوتُ

وقال الآخر :

ملءُ بِبُهْرٍ والثَّـنَاتُ وسَـعْلَةٌ وَمَسْحَةُ عُثْنُونٍ وفَتْلُ الأَصَابِعِ (٢)

ومما ذمّوا به العِيّ قوله :

وما بِيَ من عِيٍّ ولا أنطِقُ الخَنَـا إذا جمعَ الأقوامَ في الخَطْبِ مَحْفِلُ

وقال الراجز وهو يمتَح بدَلوِهِ : (٣)

عَلِقْتَ ياحَارِثُ عِنْدَ الوِرْدِ بجابِئٍ لا رَفِلِ التَّرَدِّي (٤)

ولا عَيِيٍّ بابتِنَاءِ المجد

وهذا كقول بَشَّار الأعمى : (٥)

وعِيُّ الفِعَالِ كَعِيِّ المَقَالِ وفي الصَّمْتِ عِيٌّ كَعِيِّ الكَلِمْ

وهذا المذهب شبيه بما ذهب اليه شُتَيْم بنُ خُوَيْلِد في قوله :

فكنت فتاهم فيهـا اذا يدعى لهـا يثب

الخ . إمتد به العمر حتى أدرك عهد معاوية وتوفى فى خلافته

(١) مكى بن سوادة (لم أعثر على شيء عنه فيما بين يدى من كتب)

(٢) البهر : الاعياء . والعثنون : اللحية (٣) المتح : الاستقاء

(٤) الورد : ورود الماء . الجابىء : المفاجىء بقدومه . لارفل الترددى : غيرجاهل بخطر السقوط

(٥) بشار الاعمى : هو بشار بن برد ، ومحله فى الشعر وتقدمه فى الابداع أشهر من ان يدل عليه . وهوزعيم الشعراء المحدثين بلا منازع ، ذاع أمره فى الدولتين الاموية والعباسية ، وأخذ سنى الجوائز من خلفائهما وامرائهما ، وكان مرهوب الجانب مخشى اللسان . ولد سنة ٧٦ هـ ٦٩٥ م وقتل سنة ١٦٨ هـ ٧٨٤ م

ولا يشعبون الصَّدْعَ بعد تفاقمٍ وفي رِفقِ أيديكم لذى الصدعِ شاعبُ(١)

وهذا كقول زبّان بن سيار:

ولسنا كأقوام أجَدُّوا رياسةً يُرى مالُها ولا يُحَسُّ فِعالُها

يُريغون في الخصْبِ الأُمورَ ونفعُهم قليلٌ إذِ الأموالُ طال هُزالُها(٢)

وقلنا بلا عِيٍّ وسُسْنا بطاقةٍ إذِ النَّارُ نارُ الحرب طال اشتعالُها

لانهم يجعلون العجز والعي من الخرق ، كانا في الجوارح أو في الألسنة . وقال بن أحمر الباهلي :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف لي بالعلم بعدَ تدَبُّرِ الأمرِ

وقالوا في الصمت كقولهم في النطق . قال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلاحِ :(٣)

والصَّمتُ أحْسَنُ بالفتى مالم يكنْ عِيٌّ يَشينُه

والقولُ ذو خَطَلٍ إذا مالم يكنْ لُبٌّ يُعينُه

وقال محرز بن علقمة :

لقد وارى المقابرُ من شَريكٍ كثيرَ تحَلُّمٍ وقليلَ عاب

صَمُوتاً في المجالس غيرَ عِيٍّ جديراً حين ينطِقُ بالصواب

وقال مكى بن سوادة :

تسلَّمَ بالسُّكوتِ منَ العُيوبِ فكان السَّكتُ أجلبَ للعيوبِ

---

(١) يقول : ان اعداءكم لا يصلحون فاسدا ، أما أنتم ففى أيديكم كل صلاح

(٢) يريغون من الاراغة وهى الطلب

(٣) أحيحة بن الجلاح : شاعر أوسي جاهلي فارس شجاع وكريم جواد ، وله أحداث وخطوب مع تبع بن حسان ملك اليمن ،ومع الحرث بن ظالم، مما هو معروف ومشهور

وَيَرْتجل الكلامَ وليسَ فيه سوَى الهَذَيانِ من حَشَد الخطيبِ (١)

وقال آخر :

جمعتَ صنوفَ العِيِّ من كل وِجهةٍ وكنتَ حَرِيا بالبلاغةِ من كَثَبْ
أبُوكَ مُعِمٌّ في الكلام ومُخْوِلٌ وخالُكَ وثَّابُ الجرائمِ في الخُطبْ

وقال حُميد بن ثور الهلالي : (٢)

أتانا ولم يَعْدِله سَحْبانُ وائلٍ بيانًا وعلمًا بالذي هو قائل (٣)
فما زال عنه اللَّقْمُ حتى كأنَّهُ من العِيِّ لمَّا أنْ تكلَّمَ باقِلُ (٤)

سَحْبان مثلٌ في البيان، وباقِلٌ مثل في العِيِّ، ولهما أخبار . وقال آخر :

ماذا رُزِئْنا منكِ أمَّ الأسْودِ من رَحْبِ الصَّدْرِ وعَقْلٍ مُتْلِدِ

وهي صناع باللسان واليد

وقال آخر :

لو صُحِبتْ شهرَبْنِ داباً لم تُملْ وجَعلتْ تُكْثِرُ قولَ: لا، و: بلْ

---

(١) الحشد هنا بمعنى الاستعداد

(٢) حميد بن ثور شاعر مخضرم ، ادرك الجاهلية والاسلام ، وكان شاعراً مجيداً وقال الشعر فى أيام عمر، وله وصف فى القطاة تفاخر فيه مع العجير السلولى، واوس بن غلفاء الهجيمى ،ومزاحم العقيلى، والعباس بن يزيد الكندى، ولما اختلفوا فيمن كان منهم أحسن وصفا احتكموا الى ليلى الاخيلية فقالت :

ألا كل ما قال الرواة وانشدوا بهـا غير ما قال السلولى بهرج

فقضت للعجير السلولى عليهم . و يعد حميد من الصحابة

(٣) سحبان : هو سحبان بن زفر بن إياس، يضرب به المثل فى الفصاحة والخطابة فيقال : اخطب من سحبان وائل . كان من ألسنة العرب فى الجاهلية، فلما جاء الاسلام أسلم . خطب فى وفود خراسان بين يدى معاوية من صلاة الظهر الى صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف . مات سنة ٥٤ هـ ٦٧٣ م . وباقل بعكسه يضرب به المثل فى العى فيقال : أعيا من باقل

(٤) اللقم : توالى اللقم فى الفم

حبُّكَ للباطلِ قِدْماً قدْ شَغَلْ كسبَكَ عَنْ عيالِنَا قلتُ أجَلْ
تضَجُّراً مني وعِيًّا بالحِيَلْ

قال وقيل لِبُزُرْجُمِهْرْ بن البختكان الفارسي (١) : أى شيء أستر للعى ؟ قال : عقل يجمله . قالوا . فان لم يكن له عقل ؟ قال : فمال يستره. قالوا : فان لم يكن له مال؟ قال . فاخوان يعبرون عنه . قالوا : فان لم يكن له اخوان يعبرون عنه ؟ قال : فيكون ذا صمت . قالوا فان لم يكن ذا صمت ؟ قال : فموت وحى خير له من أن يكون فى دار الحياة

وسأل الله موسى عليه السلام حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته، والابانة عن حجته، والافصاح عن أدلته ، فقال حين ذكر العقدة التى كانت فى لسانه ، والحبسة التى كانت فى بيانه « وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي » وأنبانا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب ، واستراحته الى كل شغب ، ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد معاند ، وعلى كل مختال مكايد ، حين خبرنا بقوله : « أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِن هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ » وقال موسى عليه السلام « وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي » وقال : « وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي » رغبة منه فى غاية الافصاح بالحجة، والمبالغة فى وضوح الدلالة ، لتكون الاعناق اليه أسرع ، وان كان قد يأتى من وراء الحاجة ، ويبلغ افهامهم على بعض المشقة . ولله عز وجل أن يمتحن عباده بما يشاء من التخفيف والتثقيل ، ويبلوا أخبارهم كيف أحب من المكروه والمحبوب ، ولكل زمان ضرب من المصلحة ، ونوع من المحنة ، وشكل من العبادة. ومن الدليل على أن الله عز وجل حل تلك العقدة، وأطلق ذلك التعقيد والحبسة، قوله « رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَرُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي » الى قوله « قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى » فلم تقع الاستجابة على شيء من دعائه دون شيء لعموم الخبر .

وسنقول فى شأن موسى عليه السلام ومسألته فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وذكر الله تعالى جميل بلائه فى تعليم البيان ، وعظيم نعمته فى تقويم اللسان ،

(١) بزرجمهر . وقد يقال بزرج مهر : حكيم فارسى مشهور، نكبه كسرى لقول الحق

فقال: «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» وقال «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ» ومدح القرآن بالبيان والافصاح، وبحسن التفصيل والايضاح، وبجودة الافهام، وحكمة الابلاغ، وسماه فرقانا، وقال «عربى مبين» وقال «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» وقال «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» وقال «وكل شيء فصلناه تفصيلا»

وذكر الله تعالى لنبيه حال قريش فى بلاغة المنطق، ورجاحة الأحلام، وصحة العقول. وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر، ومن بلاغة الألسنة، واللدد عند الخصومة، فقال: «إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ» وقال: «لِتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا» وقال «وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» وقال «أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» ثم ذكر خلابة ألسنتهم، واستمالتهم الاسماع بحسن منطقهم، فقال، «وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ» ثم قال: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» مع قوله «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ» وقال الشاعر فى قوم يحسنون فى القول ويسيؤون فى العمل، قال أبو حفص: أنشدنى الأصمعى للمكعبر الضبى:

كُسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ الْمَحْرُوبُ وَهْوَ عَنَاءُ

وقيل لِذِي الْحِمَّانِ: ما تقول في خزاعة؟ قال: جوع وأحاديث. وفى شبيه بهذا المعنى قال أُفْنُونُ بْنُ صُرَيْمٍ التَّغْلِبِيُّ: (١)

لو أننى كنتُ من عادٍ ومن إِرَمٍ ... غَذِيَّ قَيْلٍ ولُقمانٍ وذى جَدَنِ
لما رَقَوا بأخيهم من مُهُولَةٍ ... أخا السَّكُونِ ولا حادُوا عن السَّنَنِ
أنى جَزَوْا عامراً سُوءاً بفعلهمِ ... أم كيف يَجْزُونِي السَّوْآى من الحسنِ

(١) افنون بن صريم التغلبى شاعر قديم، له حكاية غريبة، ذلك أن بعض الكهان أنذره بهلاكه من لدغة تصيبه، فكان لا ينام الا على ظهر راحلته، فبينا هو ذات ليلة على ناقته وهي ترعى اذ التوت حية على مشفرها فاضطربت ورمت بها اليه فلدغته. فقال:

لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى ... اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ثم خر ميتاً لساعته وذلك حوالى سنة ٥٦٧ م

أم كيفَ ينفعُ ما تُعطي العَلوق بهِ رئمـان أنف إذَا مَاضَنَّ باللبَنِ

ورئمان: أصله الرقة والرحمة . والرؤوم أرق من الرؤف. فقال « رئمان أنف » كأنها تبر ولدها أنفها وتمنعه اللبن

ولان العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى، ومن تمام الاكرام . وقالوا : تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة ، واطالة الحديث عند المؤاكلة . وقال شاعرهم وهو حاتمُ الطَّائي :(١)

سـلي الجائعَ الغرْثانَ يا أمَّ مُنذرٍ إذا ما أتاني بين نارِي ومَجْزَرِي

هل آبسطُ وجهي؟ انهُ أول القِرى وأبذِلُ معروفي له دون مُنكَرِي ؟

وقال الآخر

إنكَ يا ابنَ جعفر خيرُ فتَى وخـيرُهم لطـارقٍ إذا أتى

ورُبَّ نِضْوٍ طرَقَ الحيَّ سُرى صادَفَ زَاداً وحديثاً ما اشتهى

إن الحديثَ جانبٌ من القِرَى

وقال الآخر :

لحافي لحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتهُ ولم يُلْهني عنـهُ غَزالٌ مقـنَّعُ

أحدِّثه إن الحديثَ منَ القِرَى وتعلم نفسي أنهُ سوْفَ يهجعُ

ولذلك قال عَمْرُو بنُ الأهْـتَم : (٢)

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرْحباً فهـذا مَبِيتٌ صالحٌ وصَدِيق

---

(١) حاتم الطائى : هو الجواد المشهور ، كان شاعراً فحلا، وفارساً شجاعا، وله فى الجود والكرم حوادث وأخبار معروفة. توفى حوالى سنة ٦٠٥ م

(٢) عمرو بن الاهتم : هو عمرو بن سنان الاهتم المنقرى التميمى ، وكان من سادات تميم وخطبائهم وشعرائهم وذوى الفصاحة واللسن فى الجاهلية والاسلام . وهو صاحب الحديث مع الزبرقان بن بدر بين يدى النبى (ص) وله مواقف مشهورة . توفى سنة ٥٧ هـ ٦٧٦ م

وقال الاخر:

أضاحِكُ ضَيْفِي قَبْـلَ إِنْزَالِ رَحْـلِه ... ويخصبُ عنـدي والمحـلُّ جَدِيبُ
وما الخِصبُ للأَضْيافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرى؛ ... ولـكِنَّما وجـهُ الـكريم خَصِيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب «أم تَأْمُرُهم أحلامُهم بهذَا» وقال: «فاعتبروا يا اولى الأَلباب» وقال: «أُنظر كيف ضربوا لك الأَمثال» وقال: «وَإِن كان مَكرهم لِتَزُولَ منه الجبال» وعلى هذا المذهب قال: «وَإِن يكادوا الذين كفروا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارهم» وقد قال الشاعر:

يَتقَارضُونَ إِذَا الْتَقَوا في مَوْقِفٍ ... نَظَراً يُزِيلُ مَواقِعَ الأَقدَامِ

وقال تبارك وتعالى «وَمَا أرسلنا من رَسولٍ إِلا بلسان قومه ليُبَيِّنَ لهم» لان مدار الامر على البيان والتبيين، وعلى الافهام والتفهيم. وكلما كان اللسان أبين كان أحمدَ، كما أنه كلما كان القلب أشدّ استبانة كان أحمدَ. والمفهم لك والمتفهّم عنك شريكان فى الفضل. إلا أن المُفهِم أفضل من المتفهم، وكذلك المعلم والمتعلم

هكذا ظاهر هذه القضية، وجمهور هذه الحكومة، إلا فى الخاص الذى لا يذكر، والقليل الذى لا يشهر

وضرب الله مثلا لعيّ اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى «أَوَمن يُنشَّؤُ في الْحِلْيَةِ وهو فى الخصام غير مبين» ولذلك قال النمر بن تولب:

وكلُّ خَلِيلٍ عليه الرِّعَاثُ ... والحِبلاتُ ضَعِيفٌ مَلِقْ (١)

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة، وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة، بأعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوت درك الحاجة. والناس لا يُعَيِّرون الخُرس، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز، وهم يذمون الحصر، ويؤنبون العى. فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء، وتعاطيا

(١) الرعاث. الاقراط. والحبلات. ضرب من الحلى

مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم ، وترادف عليهما التأنيب . ومماتنة العي الحصر للبليغ المصقع ، في سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق . وأحدهما ألوم من صاحبه ، والالسنة اليه أسرع . وليس اللَّجْلاجُ ، والتَّمْتَامُ ، والألْثَغ ، والفَأْفَاء ، وذو الحُبْسة ، والحُكلة ، والرُّتَّة ، وذو اللَّفَف [١] والعجلة في سبيل الحصر في خطبته ، والعي في مناضلة خصومه ، كما أن سبيل المفحم عند الشعراء ، والبكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار ، والخطل المكثار

ثم أعلم أبقاك الله أن صاحب التَّشْدِيق والتَّقْعِير والتَّقْعِيب [٢] من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف ، وشنعة التزيُّد أعذر من عيّ يتكلف الخطابة ، ومن حصر يتعرض لاهل الاعتياد والدّربة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف ، وبياناً يمازجه التزيد ، الا ان تعاطي الحصر المنقوص مقام المدّرب التام ، اقبح من تعاطي البليغ الخطيب ، ومن تشادق الاعرابي القح . وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والالفاظ ، وفي التحبير والارتجال ، أنه البحر الذي لا ينزح ، والغَمر الذي لا يسبر ، أيسر من انتحال الحصر المنخوب أنه في مسلاخ [٣] التام الموفر ، والجامع المحكك ، وان كان رسول الله ﷺ قد قال : « اياي والتشادق » وقال : أبغضكم الىّ الثرثارون المتفيهقون » وقال : « من بدا جفا » وعاب الفدادين [٤] والمتزيدين في جهارة الصوت ، وانتحال سعة الاشداق ، ورحب الغلاصم ، وهدل الشفاه . وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر ، وفي أهل المدر أقل . فاذا عاب المدري بأكثر مما عاب به الوبري ، فما ظنك بالمولد القروي والمتكلف البلدي ؟ فالحصر المتكلف والعي المتزيد ، ألوم من البليغ المتكلف لا كثر مما عنده ، وهو أعذر ، لان الشبهة الداخلة عليه أقوى . فمن أسوأ حالا أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشدقين ، ومن الثرثارين المتفيهقين ، وممن ذكره النبي ﷺ نصا ، وجعل النهي عن مذهبه مفسرا ، وذكر مقته له وبغضه اياه ؟

---

(١) كل هذه صفات من عيوب اللسان الموجبة للعي والحصر . (٢) صفات مذمومة في الخطيب (٣) المنخوب : الرعديد . في مسلاخ : في جلده ، يعني في ثيابه وصفاته (٤) الفدادون : ذووا الاصوات المزعجة

ولما علم واصل بن عطاء (١) أنه ألثغ فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع، وأنه اذ كان داعية مقالة، ورئيس نحلة، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل، وزعماء الملل، وأنه لا بد من مقارعة الابطال، ومن الخطب الطوال، وان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة، والى ترتيب ورياضة، والى تمام الآلة وإحكام الصنعة، والى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، واقامة الوزن، وأن حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة، وأن ذلك من أكبر ماتستمال به القلوب، وتنثنى اليه الأعناق، وتزين به المعانى

وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام، واللسان المتمكن، والقوة المتصرفة، كنحو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد، مع لباس التقوى، وطابع النبوة، ومع المحبة، والاتساع فى المعرفة، ومع هدى النبيين، وسمت المرسلين، وما يغشيهم الله به من القبول والمهابة، ولذلك قال بعض شعراء النبى ﷺ

لو لم تكن فيهِ آيات مبيّنةٌ كانتْ بداهتُهُ تنْبيكَ بالخبَرِ

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة، ومن العلامات الظاهرة، والبرهانات الواضحة، إلى أن حل الله تلك العقدة، ورفع تلك الحبسة، وأسقط تلك المحنة. ومن أجل الحاجة الى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة ـ رام أبو حذيفة (١) إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويناضله ويساجله، ويتأنى لستره والراحة من هجنته، حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمل، ولولا استفاضة هذا الخبر

---

(١) واصل بن عطاء، ويكنى أبا حذيفة، ويلقب الغزّال لجلوسه فى سوق الغزالين عند رضيع له يعرف بأبى عبدالله الغزال، وما كان لزومه لسوق الغزالين الا ليتصدق على من يغشاه من النساء المتعففات، وكانت به لثغة فى الراء قبيحة، فكان يتجنب الراء فى كلامه وخطبه ومحاوراته، وكان شيخا من شيوخ المعتزلة، وعلماً من أعلامهم، مدحه بشار بن برد كثيراً، ثم هجاه لاختلافهما فى الرأى. وكانت بينه وبين عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة فى مجلس الحسن البصرى مناظرة هامة فى مرتكب الكبيرة، هل هو كافر أو فاسق؟ أخذ ابو عمرو بقول واصل، وهو المنزلة بين المنزلتين
ولد سنة ٦٩٩ م وتوفى سنة ١٣١ هـ ٧٤٨ م

وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا،ولظرافته معلماً ، لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له ، ولست أعنى خطبه المحفوظة، ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت محاجة الخصوم ، ومناقلة الاكفاء ، ومفاوضة الاخوان

واللثغة فى الراء تكون بالغين ، والذال ، والياء . والغين أقلها قبحاً ، وأوجدها فى كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم

وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين ، فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء . وقد ذكر ذلك أبو الطروق الضبى فقال :

عليمٌ بابدَالِ الحرُوفِ وقامِعٌ لكلّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلا

وكانَ واصِلُ بنُ عَطَاءٍ قبيح اللثغة شنيعها ، وكان طويل العنق جداً ، وفيه قال بشار الاعمى :

مَالِى أُشايعُ غزّالاً له عُنقٌ كعُنقِ الدَّوِّ إن ولّى وان مثلا(١)

عُنقَ الزَّرافةِ ما بالى وبالكم أتُكفرون رجالا أكفروا رجلا ؟

فلما هجا واصلا وصوب رأى إبليس فى تقديم النار على الطين وقال:

الأرضُ مُظلمةٌ والنارُ مُشْرِقَةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

وكان وَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ غزالا ، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فقيل له : وعلىّ أيضاً ؟ فانشد :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو بصاحبكِ الذى لا تَصْحَبِينَا

قالَ وَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ عند ذلك « أما لهذا الملحد الاعمى المشنف المكتنى بأبى معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ويقتله فى جوف منزله ، وفى يوم حفله ، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلى أو سدوسى »

قال إسمعيل بن محمد الانصارى ، وعبد الكريم بن روح الغفارى ، قال أبو

(١) كنقنق الدو: كعنق الظليم الفلوى

حفص عمر بن أبي عثمان الشَّمَّرى : ألا تريان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأتما للذى تريان من سلامتـه وقلة ظهور التكلف فيه ، لا تظنان به التكلف مع امتنـاعه من حرف كثير الدوران فى الـكلام ؟ ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار ، وابن برد ، والمرعث ، جعل المشنف بدلا من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر ؟ وقال : إن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ، ولا المغيرية ، لمكان الراء ؟ وقال : لبعثت اليه من يبعج بطنه، ولم يقل لأرسلت اليـه ؟ وقال: على مضجعه، ولم يقل على فراشه ؟

وكان إذا أراد أن يذكر : البُرقال : القمح ، والحنطة . والحنطة لغـة كوفية ، والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح من قال قمح أو حنطة قال المتنخل الهذلى : (١)

لادَرَّ دَرِّىَ ان أطعمتُ نازلَهم ... قِرْفَ الحَتِىِّ وعندى البُرُّ مكنوزُ (٢)

وقالَ أميةُ بنُ أبى الصَّلتِ (٣) فى مديح عبد الله بن جُدْعان (٤)

لَهُ داعٍ بمكةَ مُشْمَعِلٌّ ... وآخَرُ فوْقَ دارَتِهِ ينادى

---

(١) المتنخل: هو مالك بن عويمر الهذلى،ويكنى أبا أثيل، شاعر فحل من شعراء هذيل وفصحائهم . (٢) قرف الحتى : سويق المقل (الدوم)

(٣) أمية بن أبى الصلت الثقفى ، قال عنه الرواة :انه أشعر أهل المدر . كان قد نظر فى كتب الاوائل. وتعبدلرب ابرهيم واسمعيل، وحرم الخمر،وشك فى الاوثان، والتمس الدين،وطمع فى النبوة . ولما بعث النبي حسده ،وكان يحرض قريشاً بعد وقعة بدر ويرثى قتلاها من المشركين . وقبل هذين البيتين يقول :

ومالى لا أحييه وعنـدى ... مواهب يطلعن على النجاد
لأبيض من بنى تيم بن كعب ... وهم كالمشرفيات الحداد
لكل قبيلة هاد ورأس ... وانت الرأس تقدم كل هاد
له بالخيف قـد علمت معد ... وان البيت يرفع بالعماد

مات على غير دين سنة ٢ هـ ٦٢٣ م وقيل سنة ٩ هـ ٦٣٠ م

(٤) عبدالله بن جدعان التيمى، كان من مشاهير الأجواد ، وكان يلقب بحاسي الذهب لانه كان يشرب فى اناء من الذهب . كان فى مبدأ أمره صعلوكا شريراً

الى رُدُحٍ من الشِّيْزَى عليها لُبابُ البُرِّ يُلْبكُ بالشَّهادِ(١)

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة في كلمة له :

قَيْسٌ أبو الأشْعَثِ بِطْرِيقُ اليمنْ لا يَسألُ السائلُ عنه : ابنُ منْ
أشْبَعَ آلَ اللهِ منْ بُرِّ عَدَنْ

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أترون أنى لا أعرف رقيق العيش؟ لباب البر بصغار المعزى . وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذق فقال : لباب البر ، بلعاب النحل ، بخالص السمن ؟ ما عاب هذا مسلم . وقالت عائشة رضى الله عنها : ما شبع رسول الله ﷺ من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا

وأهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب . ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر

حدثنى أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال : قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، انما الفصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الالفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم : أنتم تسمون القدر برمة ، وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول : قدر ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل « وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ » وأنتم تسمون البيت اذا كان فوق البيت علّيّةً ، وتجمعون هذا الاسم على علالِى ، ونحن نسميه غرفة ، ونجمعها على غرفات وغرف ، وقال الله تبارك وتعالى « غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ » وقال : « وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ » وأنتم تسمون الطلع الكافور ، والاغريض ، ونحن نسميه الطلع ، وقال الله عز وجل « ونخل

فاتكا فنفاه أهله لكثرة جناياته ، وكثرة مغارمه التى يجرها عليهم ، فخرج هائما فى شعاب مكة فعثر بقبر قديم فيه من الذهب والاحجار الكريمة شيء كثير ، فنقله الى منزله وصار ينفق منه فى صالح الاعمال ، حتى ضرب به المثل فى الكرم فقيل « أقرى من حاسى الذهب »

(١) الردح : الجفان الواسعة : الشيزى : خشب أسود تصنع منه القصاع . عليها ، فى رواية : ملاء . يلبك يعجن . الشهاد : العسل

طَلْعُهَا هَضِيمٌ » فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها الا هذا

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ؟ ولذلك يسمون البطيخ الخربز ، ويسمون السميط الروذق ويسمون المصوص المزوز ، وتسمون السُطرنج الاشترنج، الى غير ذلك من الاسماء؟

وكذا أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة بال ، وبال بالفارسية . ولو علق ذلك لغة أهل البصرة ـ اذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب ـ كان ذلك أشبه ، اذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب . ويسمى أهل الكوفة الحوك (١) باذروج ، والباذروج بالفارسية ، والحوك كلمة عربية

وأهل البصرة اذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة ، ويسميها أهل الكوفة الجهارسو ، والجهارسو ، بالفارسية . ويسمون السوق أو السويقة وازار ، والوازار بالفارسية ، ويسمون القثاء خياراً ، والخيار فارسية . ويسمون المجذوم ويذى بالفارسية

وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع الا فى موضع العقاب ، أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر؟ والناس لا يذكرون السغب ، ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا فى موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث . ولفظ القرآن الذى عليه نزل أنه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع ، واذا ذكر سبع سموات لم يقل الارضين ، ألا تراه لا يجمع الارض أرضين ولا السمع أسماعا ؟ والجارى على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الالفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن الا في موضع التزويج

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو أقل فى أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر . ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه . وكذلك المثل السائر . وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية فى الشهرة ، ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أن العامة ابن القِرِّيَّة (٢) أشهر عندها فى الخطابة من سحبان وائل ، وعبيد الله بن الحر

(٢) الحوك : البقلة الحمقاء (الرجلة)

(١) ابن القرية : هو أيوب بن زيد ، والقرية امه ، كان خطيباً لسنا وبيناً مفوهاً ،

أذكر عندهم فى القروسية من زهير بن ذؤيب ؟ وكذلك مذهبهم فى عنترة بن شداد وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ولا يعرفون بسطام بن قيس

وفى القرآن معان لا تكاد تفترق مثل :الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والانصار ، والجن والانس

قال قطرب: أنشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر فى واصل :

ويَجعلُ البُرَّ قمحاً فى تصرُّفهِ وجانبَ الراء حتَّى احتالَ للشَّعرِ

ولم يُطقْ مطراً والقول يُعجلهُ فعادَ بالغيثِ اشفاقاً من المطرِ

قال : وسألت عثمان البرى : كيف كان واصل يصنع فى العدد ؟ وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؟ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان ؟ وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قول الا ما قال صفوان :

مُلَقَّنٌ مُلْهَمٌ فيما يُحاولهُ جَمٌ خواطِرُه جوَّابُ آفاقِ

وأنشدنى دينَمٌ قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدى :

وخَلَّةُ اللفظِ فى اليا آتِ إن فُقِدَتْ كَخلَّةِ اللفظِ فى اللاَّماتِ والألفِ

وخَصلَةُ الرَّاءِ فيها غيرُ خافيةٍ فاعرِفْ مواقعَها فى القَولِ والصُّحفِ

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها، والحاجة اليها أشد . واعتبر ذلك بان تأخذ عدة رسائل، وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها،وعددت كل شكل على حدة ، علمت أن هذه الحروف ألحاجة اليها أشد

﴿ ذكر ماجاء فى تلقيب واصل بالغزَّال ومن نفى ذلك عنه ﴾

قال أبو عثمان . فمن ذلك ما أخبرنا به الاصمعى قال: أنشدنى المعتمر بن سليمان لاسحق بن سويد العدوى .

قتله الحجاج بتهمة مناصرته لابن الاشعث سنة ٨٤ هـ ٧٠٣ م

بَرِئْتُ من الخوارجِ لستُ منهم ... من الغزَّالِ منهم وابنِ باب
ومن قومٍ إذا ذَكَرُوا عليًّا ... يَرُدُّونَ السلامَ على السَّحاب
ولكنِّى أُحِبُّ بكل قلبى ... وأعلم أنَّ ذاك من الصواب
رسول اللهِ والصِّدِّيقَ حبًّا ... به أرجو غداً حُسنَ المآب

وفى ذلك قال بشار:

مالي أُشايعُ غزّالاً لهُ عُنُقٌ ... كَعُنُقِ الدَّوِّ إنْ ولّى وإن مثلا

ومن ذلك قول معدان السميطى .

يَوْمَ نُشفى النفوس من يعصر الأو ... م ويُثنى بسامة الرحّال
وعدىٍّ وتَيمِها ونقيفٍ ... وأُمَيٍّ وتَغْلِبٍ وهلال
لاحرور ولا النوائب تنجو ... لا ولا صحب واصلِ الغزَّالِ

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة ، وكان قد قال فى تفضيله على خالد بن صفوان (١) وشبيب بن شيبة والفضل

(١) خالد بن صفوان بن عبدالله بن الاهتم ، كان خطيباً مبيناً ، ولسنا بليغاً وكان بخيلا مطلاقاً . وكان يقول : أربعة لا يطمع فيهن عندى : القرض، والفرض والهرس ، وأن أسعى مع أحد فى حاجة . قيل له : وما يصنع بك بعد هذه؟ فقال الماء البارد ، وحديث لا ينادى وليده . وقيل له : من أحب اخوانك اليك ؟ قال من سد خللى ، وغفر زللى ، وقبل علاى . وكان يقول : مامن ليلة أحب الى من ليلة قد طلقت فيها نسائى فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فبعثت الى بنتى بسليلة فيها طعامى ، وتبعث الى الاخرى بفراش أنام عليه . وقال خالد لبعض الولاة : قدمت فأعطيت كلا بقسط من وجهك وكرامتك ، حتى كانك لست من أحد ، أو حتى كأنك من كل أحد

وسأل عبدالملك الحجاج عن عيبه فتلكأ عليه ، فأبى الا ان يخبره ، فقال : أ حديد حسود حقود لجوج ذو قسوة . فبلغ هذا الكلام خالد بن صفوان فقال لقد انتحل الشر بحذافيره ، والمروق من جميع الخير بزوبره ، ولقد تأنق فى ذم نفسه وتجود فى الدلالة على لؤم طبعه ، وفى اقامة البرهان على افراط كفره، وشدة المشا كلة

ابن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق :

أبَا حُذَيفةَ قد أُوتيتَ مَعجبـةً ... من خُطْبةٍ بَدَهَتْ من غيرِ تقديرِ

وإنَّ قوْلاً يرُوقُ الخالِدَيْنِ معـا ... لَمُسِكتٌ مُخرِسٌ عن كل تَحْبِيرِ

لانه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم. وقال بشار :

تكلَّفُوا القوْلَ والأقوامُ قد حَفَلُوا ... وحَبَّروا خُطباً ناهيكَ من خُطَبِ

فقـامَ مُرْتَجِلاً تَغلِي بَدَاهتـهُ ... كَمرْجَلِ القَيْنِ لمـا حُفَّ باللَّهَبِ

وجانَبَ الراءَ لم يشعُرْ بهِ أحـدٌ ... قبل التصفُّحِ والإغْراقِ في الطلبِ

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهـذا بديهٌ لا كتَحْبِير قائلٍ ... إذا ما أرادَ القوْلَ زوَّرَهُ شَهرا

فلما انقلب عليهم بشار، ومقاتله لهم بادية، هجوه ونقوه، فما زال غائبا حتى مات عَمْرُو بْنُ عُبيد .(١) وقال صَفْوَانُ الانصارى:

متى كان غَزَّالٌ لهُ يابنَ حَوْشَبٍ ... غلامٌ كعمرٍو، أو كعيسى بنِ حاضِرِ

أما كان عثمانُ الطويلُ بنُ خالدٍ ... أو القَرْمُ حفْص نُهْيةً للمَخاطِرِ

له خَلْفَ شِعْبِ الصينِ في كل ثَغْرَةٍ ... الى سُوسِهَا الأقصى وخَلْفَ البَرَابِرِ

شيطانه الذى أغواه. ورأى خالد السفاح ومات فى عهده سنة ١٣٣ هـ ٧٥٠ م

وشبيب بن شبيبة الخطيب اللسن المعروف من رهط خالد ومن بابه

(١) عمرو بن عبيد : هو عمرو بن عبيد بن باب شيخ المعتزلة، وهو أول من ترك مجلس الحسن البصرى الاختلاف فى الرأى، فقال الحسن : اعتزلنا عمرو. فسمى كل من أخذ برأيه المعتزلة . وكان جده باب من سبي كابل سباه عبد الرحمن بن سمرة وكان عمرو متزهداً متقشفا ، وكانت بينه و بين واصل بن عطاء محاورة في شأن مرتكب الكبيرة .

ولد سنة ٨٠ هـ ٦٩٩ م وتوفى سنة ١٤٤ هـ ٧٦١ م

رِجالٌ دُعاةٌ لايفُلُّ عزيمَهُمْ نهكُم جبّار ولا كيدُ ماكِرِ
إذا قالَ :مرُّوا فى الشتاءِ ،تطاوعُوا وإن كان صيفاً لم يَخَفْ شهرَ ناجِرِ
بهِجْرَةِ أوْطانٍ وبذلٍ وكُلْفَةٍ وشِدَّةِ أخطارٍ وكَدِّ المسافرِ
فأنجحَ مَسعاهُمْ وأنقبَ زَندَهُم وأورَى بِفَلجٍ للمخاصم قاهِرِ
وأوتادُ أرضِ اللهِ في كلِّ بلدَةٍ وموضعُ فُتياها وعلم التّشاجُرِ
وما كان سَحْبانٌ يَشُقُّ غبارَهم ولا الشُّدقُ من حيَّيْ هلالِ بن عامرِ
ولا الناطِقُ النَّحّارُ والشيخ دَغْفَلٌ إذا وصلوا أيمانَهم بالمخاصرِ
ولا القالَةُ الاعْلَوْنَ رهط مكحَّلٍ إذا نطقوا في الصُّلحِ بين العشائرِ
بجمعٍ من الجَفَّينِ راضٍ وساخطٍ وقد زَحفت برّاؤهم للمحاضر

الجفان : بكر وتميم . والروقان : بكر وتغلب . والفاران : الازد وتميم . قيل ذلك لكل عمارة من الناس ، وهى جمع : والعمائر أيضا : غار . والجف أيضا : قشر الطلعة

تَلَقَّبَ بالغزّالِ واحدُ عصرِهِ فَمن لليتامى والقَبيلِ المكاثرِ
ومن لحُرُوبيّ وآخر رافضٍ وآخر مُرْجيّ وآخر حائر ؟
وأمرٍ بمعروف وانكارِ مُنكرَ وتحصينِ دينِ اللهِ من كل كافر
يصيبون فصلَ القولِ فى كل منطق كما طبقت في العظم مُدْيةُ جازِرِ
تراهُم كأنَّ الطيرَ فوقَ رؤسهم على عمّةٍ معروفةٍ فى المعاشر
وسيماهُم معروفةٌ في وجوهِهم ، وفي المشى حُجَّاجاً ،وفوقَ الاباعر
وفى رَكْمةٍ تأتي على الليل كلِه وظاهرِ قولٍ فى مثالِ الضمائرِ
وفى قَصِّ هُدّابٍ وإحفاءِ شاربٍ وكَوْر على شيبٍ يضيء لناظرِ

وعَنْقَةٍ مصلومةٍ ولنعلهِ قِبالانِ في رُدنٍ رحيبِ الخواطرِ
فتلك علاماتٌ تحيط بوَصفهم وليس جهول القوم في جرم خابر

وفى واصل يقول صفوان :

فما مَسَّ ديناراً ولا صَرَّ درْهماً ولا عَرَف الثوبَ الذى هو قاطعهُ

وفيه يقول اسباط بن واصل الشيبانى :

وأشهدُ أنَّ اللهَ سماكَ واصلاً وأنكَ ميمونُ النقيبةِ والشِّيم

ولما قام بشار يعذر ابليس فى أن النار خير من الارض، وذكر واصلا بما ذكره قال صفوان :

زَعمتَ بأنَّ النارَ أكرَمُ عُنصراً وفى الارضِ نحيا بالحجارةِ والزَّندِ
ويُخلَقُ في أرحامها وأرومها أعاجيبُ لاتحصى بخطٍّ ولاعقدِ (١)
وفي القَعرِ من لُجِّ البحارِ منافعٌ من اللؤلؤِ المكنونِ والعنبرِ الوردِ
كذلك سرُّ الارضِ في البحرِ كله وفي الغَيْضةِ الغنَّاء والجبلِ الصَّلدِ
ولا بدَّ من أرضٍ لكلِّ مطهَّرٍ وكل سَبُوحٍ في الغمائرِ من جِدِّ
كذلك وما يَنساحُ في الارضِ ماشياً على بطنِهِ مشيَ المُجانبِ للقَصدِ
ويسرِى على جِلْدٍ يقيمُ حزوزهُ تَعَمُّجَ ماءِ السيلِ في صَبَبِ حَرْدِ (٢)
وفي قُلَلِ الأجبالِ خلفَ مُقطَّمٍ زَبَرْجَدُ أملاكِ الورَى ساعةَ الحَشْدِ
وفى الحرَّةِ الرَّجْلاءِ تَلقى معادِنا لهنَّ مَغاراتٌ تبجسُ بالنقدِ (٣)
من الذَّهَبِ الابْرِيزِ والفِضةِ التى تَروقُ وتُصْبِي ذا القناعةِ والزُّهدِ

(١) أرومها : المقصود بها أصول الغابات (٢) تعمج وتعمج بمعنى تلوى . فى صبب حرد : فى المسايل المنحدرة (٣) الحرة الرجلاء : الارض الخشنة ذات الحجارة السود البركانية . تبجس بالنقد : تتبجس بالذهب والفضة، وقد أبان ذلك البيت

وكل فلزٍّ من نُحاس وآنك ... ومن زئبق حيٍّ ونوشادر يسدى(١)
وفيها زرانيخٌ ومكرٌ ومرتكٌ ... ومن مرقشيشا غير كابٍ ولا مكدى(٢)
وفيها ضروبُ القار والشبِّ والذهى ... وأصنافُ كبريتٍ مطاولةِ الوقد(٣)
ترى العرقَ منها فى المقاطع لائحاً ... كما قدَّت الحسناء حاشية البُرد(٤)
ومن إثمدٍ جزْعٍ وكلسٍ وفضةٍ ... ومن تُوتيا في معادنه هندى(٥)
وفي كلِّ أغوارِ البلادِ معادنٌ ... وفي ظاهرِ البيداءِ من مُستوى نجدِ
وكلُّ يواقيتِ الانامِ وحليها ... من الارضِ والاحجارُ فاخرةُ المجدِ
وفيها مقامُ الخلِّ والرُّكنُ والصفا ... ومُستلَمُ الحجاجِ من جنَّةِ الخلدِ
وفى صخرةِ الخضرِ التي عند حوتها ... وفى الحجرِ المُهمَى لموسى على عمدِ
وفي الصخرةِ الصمَّاءِ تصدَعُ آيةٌ ... لامِّ فصيلٍ ذى رُغاءٍ وذي وجدِ(٦)
مفاخرُ للطينِ الذي كان أصلَنا ... ونحنُ بنوهُ غيرَ شكٍّ ولا جحدِ
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمةٌ ... وأوضحُ بُرهانٍ على الواحدِ الفردِ
أنجهلُ عمراً والنظامىَّ واصلاً ... كأتباعِ ديصانٍ وهم قمش المدِّ(٧)
وتفخرُ بالميلادِ والعلجِ عاصمٍ ... وتضحكُ من جيدِ الرئيسِ أبي جعدِ
وتحكى لدى الأقوامِ شنعةَ رأيهِ ... لتصرفَ أهواءَ النفوسِ الى الردِّ

التالى . وفى نسخة : تبخسن ولا معنى لها ههنا (١) فلز : قطع النحاس والبرنز وغيرها من المعادن (٢) المكر : المغرة الحمراء ، والمرتك : الحجر المحرق (٣) النهى : الزجاج (٤) العرق : أى عروق المعادن في الأرض (٥) اثمد جون : كحل أسود . كلس : جير

(٦) يشير بهذا البيت الى آية صالح النبى والى انشقاق الصخرة له عن ناقة ومعها فصيلها

(٧) عمرو : يريد عمرو بن عبيد رأس المعتزلة . وواصل : هو واصل بن عطاء المعتزلى وقد مر الكلام عليهما . ديصان : هو رأس فرقة من الفرق المجوسية ،

وسميته الغزال في الشعر مطنباً ومولاك عند الظلم قصته مردى

يقول : ان مولاك ملاح ، لان الملاحين اذا تظلموا رفعوا المرادى

فيا ابن حليف الطين واللؤم والعمى ... وأبعد خلق الله من طرق الرشد

أتهجو أبا بكر وتخلع بعده ... عليًا وتعزو كل ذاك الى برد؟

كأنك غضبان على الدين كله ... وطالب ذحل لا يبيت على حقد(١)

رجعت الى الامصار من بعد واصل ... وكنت شريداً في التهائم والنجد

أتجعل ليلى الناعطية نحلة ... وكل عريق في التناسخ والرد(٢)

عليك بدعد والصدوف وفرتنى ... وحاضنتى كف وزاملتى هند(٣)

ثوائب أقمار وأنت مشوه ... وأقرب خلق الله من شبه القرد

ولذلك قال فيه حماد عجرد(٤) بعد ذلك :

ويا أقبح من قرد ... اذا ما عمى القرد

ويقال انه لم يجزع من شيء قط جزعه من هذا البيت . وذكره الشاعر وذكر أخويه لامه فقال :

لقد ولدت أم الاء كيمه أعرجاً ... وآخر مقطوع القفا ناقص العضد

وكانوا ثلاثة مختلفى الآباء والام واحدة ، وكلهم ولد زنا . ولذلك قال بعض من يهجوه :

يقولون بأصلين للوجود: نور وظلمة ، وان النور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلمة تفعل الشر طبعاً واضطراراً (١) الذحل : الثأر

(٢) ليلى الناعطية: امرأة عاقلة مدبرة لها حكايات فى البخل طريفة طالما تندر بها الجاحظ . التناسخ : انتقال الروح من جسم الى جسم ،وهو من مذاهب براهمة الهند(٣)الصدوف وفرتنى واخواتهما اسماء نساء قيان من أهل الملاهى والاهواء

(٤) حماد عجرد . شاعر معروف من أهل العبث والمجون له، فى بشار أهاج كثيرة

اذا دَعاهُ الخال أقعى ونكَصْ وهُجْنَةُ الإقْرافِ فيه بالخَصَص (١)

وقال الشاعر :

لاَ تَشْهَدَنَّ بخارجيِ مطْرِفٍ حتى ترى من نجـلهِ أفراسا

وقال صفوان الانصارى فى بشار وأخويه، وكان يخاطب أمهم :

ولدت خُلْداً وَذِبخاً في تَشتّمه وبعدَهُ خُزَزاً يشتدُّ في العضدِ

والخلد: ضرب من الجرذان يولد أعمى. والذبخ: ذكر الضباع، وهو أعرج. والخزز: ذكر الارانب، وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب فى الصيد

ثلاثةٌ من ثلاثٍ فُرِّقوا فِرَقاً فاعرفْ بذلك عرْقَ الخال من والد

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى، أخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر، فى اعتذار بشار لا بليس، وهو يخبر عن كرم خصال الارض :

لاَ بدَّ للأرض ان طابتْ وان خَبُثَتْ من أن تحيلَ اليها كلَّ مغروس

وتُرْبةُ الأرْض انْ جيدَتْ وانْ قُحطَتْ فَحَمْلها أبداً في إثْر مَنْفوسِ

وبطْنها بفلزِّ الارضِ ذو خبرٍ بكلِّ جَوْهَرَةٍ في الارْضِ مرْموسِ

الفلز: جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك

وكلِّ آنيـةٍ عمَّتْ مَرافقها وكلِّ منْتقدٍ فيها ومَلبوس

وكلُّ ما عونها كالملحِ مِرْفَقَةٌ وكلها مضحكٌ من قولِ ابليسِ

وقال بعض خلفاء بغداد :

عجبت من ابليس فى كبرِه وخبثِ ما أبداه مِنْ نِيتـهْ

تاهَ على ادمَ في سجدةٍ وصارَ قـوَّاداً لذريتـه

(١) أقعى ونكص : استخذى وخجل لانحطاط أصله من جهة أمه . هجنة الاقراف: أى انحطاطه من جهة أبيه أيضاً خاصة به وظاهرة فيه

وذكره بهذا المعنى سليمان أخو مسلم الانصارى فقال :

يأبى السُّجود له من فرط نَخْوَتِهِ ... وقد تَحَوَّلَ فى مِسلاخ قوادِ (١)

وقال صفوان، في شأن واصل وبشار، وفى شأن النار والطين، فى كلمة له :

وفى جَوْفها لِلعَبدِ أستر منزلٍ ... وفى ظهرها يقضى فرائضه العَبدُ

تَمجُّ لُفاظَ المِلْحِ مَجًّا وَتَصْطَفي ... سَبائكَ لا تصدَى وَانْ قدُمَ العَهد

وليسَ بمحصٍ كُنْهَ مَا فى بطونها ... حسابٌ ولا خطٌّ وَانْ بلغ الْجهد

فسائِلْ بعبدِ الله فى يوم حفْلِه ... وذاكَ مقامٌ لا يشاهِدهوغْد (٢)

أقامَ شبيباً وابنَ صفوَانَ قبله ... بقوْلِ خطيبٍ لا يجانبه القصد (٣)

وقامَ ابنُ عيسى ثم قفّاه وَاصلٌ ... فابْدَع قولاً ماله فى الورَى نِدّ

فما نقصتْه الراء اذ كانَ قادِراً ... على ترْكها واللَّفْظ مطَّردٌ سَرْد

ففضّلَ عبدُ الله خطبة وَاصِلٍ ... وضوعفَ في قَسم الصّلات له الشُّكْد (٤)

فأقنم كلّ القومِ شكر حِبائِهم ... وقلّلَ ذاك الضّعْفَ فى عَينه الزُّهْد

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزالا ، واحتجاج من دفع ذلك عنه . و يزعم هؤلاء أن قول الناس واصل الغزال ، كما يقال خالد الحذاء، وكما يقولون هشام الدستوانى . وانما قيل ذلك لان الاباضية (٥) كانت تبعث اليه من

---

(١) مسلاخ : جلد ، والمراد به تحول فى زى قواد أو ديوث (٢) عبدالله : هو ابن عمر بن عبد العزيز (٣) شبيب : هو شبيب بن شيبة أحد الخطباء البلغاء . وهو من رهط خالد بن صفوان ومن بابه . ابن صفوان : هو خالد المار ذكره . ابن عيسي : هو الفضل بن عيسي كان خطيبا لسنا بليغا . واصل : هو واصل بن عطاء ، مر ذكره . (٤) الشكد : الشكر (٥) الاباضية : هم فرقة من فرق الخوارج اتباع عبدالله بن أباض الذى خرج فى أيام مروان بن محمد ، ولهم فى تكفير بعض المسلمين واستباحة حرماتهم آراء غريبة

صدقاتها بثياب دستوانية، فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالحباب، فاجابوه الى قول الاباضية، وكانوا قبل ذلك لا يزوجون الهجناء، فأجابوه الى التسوية وزوجوا هجينا . فقال الهجين فى ذلك :

انّا وَجدنا دَستوانينا الصّائمينَ المتبعدينا
أفضل منكم حسباً ودينا أخزَى الآله المتكبّرينا
أفيكم من يُنكح الهجينا ؟

وإنما قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه في سوق الغزالين الى أبى عبد الله مولى قطن الهلالى ، وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه . وكما قالوا أبو مسعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك الماء . وكما قالوا أبو مالك السُّدى لانه كان يبيع الخُمُرَ (١) فى سُدة المسجد

وهذا الباب مستقصى فى كتاب الأسماء والكنى . وقد ذكرنا جملة منه فى أنباء السرارى والمهيرات (٢)

قال أبو عثمان :

﴿ ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرني منها ﴾

وهى أربعة أحرف: القاف ، والسين، واللام والراء. فأما التى هى على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط ، لانه ليس من الحروف المعروفة ، وانما هو مخرج من المخارج، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها. وكذلك القول فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم. وليس ذلك فى شيء أكثر منها فى لغة الخوز. وفى سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير . فمن يستطع ان يصور كثيراً من حروف الزمزمة وهى الحروف التى تظهر من فم المجوسى اذا ترك الافصاح عن معانيه، واخذ فى باب الكناية وهو على الطعام ؟

فاللثغة التى تعرض للسين تكون ثاء ، كقوله لابى يكسوم : أبى يكثوم ، وكما يقولون: بُثرة إذا أرادوا بسرة ، وبائم الله اذا أرادوا بسم الله

والثانية اللثغة التى تعرض للقاف ، فان صاحبها يجعل القاف طاء ، فاذا أراد أن

(١) الخمر جمع خمار، وهو ما تغطى به المرأة رأسها (٢) المهيرات . الجوارى الحرائر

يقول : قلت له ، قال : طلت له . وأراد أن يقول : قال لى ، قال : طال لى

وأما اللثغة التى تقع فى اللام فان من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله: اعتللت ، اعتييت . وبدل جمل ، جمى . وآخرون يجعلون اللام كافا كالذى عرض لعمر أخى هلال، فانه كان اذا أراد ان يقول: ما العلة فى هذا ؟ قال : ما اكمكة فى هذا ؟

فاما اللثغة التى تقع فى الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام ، لان الذى يعرض لها أربعة أحرف : فمنهم من اذا أراد أن يقول: عمرو ، قال:عمى ، فيجعل الراء ياء . ومنهم من اذا اراد أن يقول : عمرو ، قال:عمغ، فيجعل الراء غينا.ومنهم من اذا أراد أن يقول:عمرو ، قال:عمذ .فيجعل الراءذالا . واذا أنشد قول الشاعر :

واستَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً إنّما العاجِزُ مَنْ لاَ يَسْتَبِدْ

قال : واستبدت مذة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

فمن هؤلاء على بن جنيد بن فريدى

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة ، فيقول اذا أنشد هذا البيت :

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

قال : واستبدت مظة واحدة انما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة ،فاذا أراد أن ينشد هذا البيت :

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

قال : واستبدت مغة واحدة انما العاجز من لا يستبد

كما أن الذى لثغته بالياء اذا أراد أن يقول:واستبدت مرة واحدة،قال:واستبدت مية واحدة

وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء،وسليمان بن يزيد العدوى الشاعر ، فليس الى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى الشين كنحو ما كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر، فان تلك أيضا ليس لها صورة فى الخط ترى بالعين،وانما يصورها اللسان وتتادى الى السمع . وربما اجتمعت فى الواحد لثغتان فى حرفين ، كنحو لثغة شوشى صاحب عبدالله بن خالد الاموى ، فانه كان يجعل اللام ياء والراء ياء ، قال مرة : مو ياى وبى ايّ ، يريد

مولاى ولى الرى

واللثغة فى الراء اذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضعهن اذى المروءة ، ثم التى على الظاء ، ثم التى على الذال . فأما التى على الغين فهى أيسرهن . ويقال ان صاحبها لو جهد نفسه جهده، وأخذ لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والافصاح بها، لم يكن بعيدا من أن تجيبه الطبيعة، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسنا. وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين ، وكان إذا شاء أن يقول : عمر ولعمرى، وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك ، فقلت له: اذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهرا واحدا ان لسانك كان يستقيم

أما من يعتريه اللثغ فى الضاد ربما اعتراه أيضا فى الصاد والراء، حتى اذا أراد أن يقول : مضر، قال : مضى . فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى

وزعم ناس من العوام أن موسى صلوات الله وسلامه عليه كان ألثغ ، ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له فى شى بعينه ، فمنهم من جعل ذلك خلقة ، ومنهم من زعم أنه انما اعتراه حين قالت آسية بنت مراحم امرأة فرعون لفرعون : لا تقتل طفلا لا يفرق الجمر من التمر . فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها الى فيه، فاعتراه من ذلك ما اعتراه

وأما اللثغة فى الراء فتكون فى الياء ، والذال ، والغين ، وهى أقلها قبحا وأوجدها فى ذى الشرف وكبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم ، وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء على الصحة فتأتى له ذلك وكان يدع ذلك استثقالا ، أنا سمعت ذلك منه. قال: وكان الواقدى يروى عن بعض رجاله أن لسان موسى عليه السلام كانت عليه شامة فيها شعرات . وليس يدل القرآن على شىء مما قالوا، لانه ليس فى قوله « واحلل عقدة من لسانى » دليل على شىء دون شىء

قال الاصمعى : اذا تتعتع اللسان فى التاء فهو تمتام ، واذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء وأنشد لرؤبة بن العجاج .

يا حمد ذاك المنطق التمتام كأنّ وَسْوَاسَك فِي اللمَامِ

حديثُ شَيطانِ بنى هَمَّام

و بعضهم ينشد : يا حمد ذات المنطق النمنام . وليس ذلك بشيء ، وانما ذلك كما قاله ابو الزحف :

لستَ بفأفاءٍ ولاَ تَمْتَامِ ولاَ كثيرِ الهُجْرِ في المَنَامِ

وأنشد أيضاً للخولانى فى كلمة له :

إنَّ السياطَ تَرَكْنَ لاستِكَ مَنْطِقاً كمقالةِ التَّمْتَامِ ليسَ بِمُعْرِبِ

فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه ، ولا مفصح بحاجته

وقال أبو عبيدة : اذا أدخل الرجل بعض كلامه فى بعض فهو ألف ، وقيل: بلسانه لفف ، وأنشدنى لابى الزحف الراجز :

كأن فيه لَفَفاً إذا نَطَقْ مِن طُول تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

كانه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف فى لسانه . وكان يزيد بن جابر قاضى الازارقة بعد المقعطل يقال له الصموت ، لانه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يبين . وأخبرنى محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام محاربة الزط من طول التفكر ولزوم الصمت . قال: وأنشدنى الاصمعى :

حديثُ بنى زُطٍّ إذا مالقيتهم كنَزْوِ الدَّبى في العَرفَجِ المُتقارِبِ(١)

قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة . وقال سلمة بن عياش :

كأن بنى رَالانَ إذ جاء جمعُهم فَرَارِيجُ يُلْقَى بينهنَّ سَوِيقُ

فقال ذلك لرقة أصواتهم وعجلة كلامهم . وقال اللهبى فى اللجلاج :

ليسَ خطيبُ القوم باللَّجْلاَجِ ولا الذي يَزْحَلُ كالهِلْبَاجِ(٢)

وَرُبَّ بَيْدَاءَ وَلِيلٍ دَاجِ هَتَكْتُه بالنَّص وَالإِدْلاَجِ(٣)

وقال محمد بن سلام الجمحى : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه قال: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد . ويقال

---

(١) النزو: الوثب . الدبى : صغار الجراد . العرفج : شجر سهلى (٢) يزحل : يزول . الهلباج : الاحمق القدم الجامع لصنوف الشر (٣) النص والادلاج : السير

فى لسانه حبسة ، اذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام. ويقال فى لسانه لُكنه ، اذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الاول . فاذا قالوا فى لسانه حُكلة ، فانما يذهبون الى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال . وقال رؤبة بن العجاج .

لو أنّى أُوتيتُ عِلمَ الحُكْلِ عِلمَ سليمانَ كلامَ النَّمْلِ (١)

وقال محمد بن ذؤيب فى مديح عبد الملك بن صالح :

ويفهم قَول الحُكْلِ لو أن ذَرَّةً تُساوِدُ أُخرى لم يَفُتْهُ سِوادُها

وقال التيمى فى هجائه لبنى تغلب :

ولكنّ حُكْلاً لا تُبِينُ ودينُها عِبادةُ أعلاجٍ عليها البَرَانِسُ

قال سحيم بن حفص فى الخطيب الذى تعرض له النحنحة والسعلة ، وذلك اذا انتفخ سحره ، وكبا زنده ، ونبا حده ، فقال:

نَعُوذُ باللهِ من الإهْمالِ ومن كلالِ الغَرْبِ في المَقال

ومن خَطيبٍ دائمِ السُّعالِ

وأنشدنى الاعرابى :

إنّ زياداً ليسَ بالبَكِيِّ ولا بهيَّابٍ كثيرِ العِيِّ

وأنشدنى بعض أصحابنا :

نادَيْتُ هَيْدَانَ والأبوابُ مُغْلَقَةٌ ومثْلَ هَيْدانَ سنّى فتحةَ البابِ

كالهِنْدُوَانِيِّ لَمْ يَنْثُلْ مَضَارِبُهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجّابِ

وقال الآخر :

اذَا اللهُ سنَّى عَقْدَ شَيءٍ تَيَسَّرَا

وقال بشر بن معمر فى مثل ذلك :

---

(١) الحكل . الذور الشديد فى أول الليل

ومن الكبائر مقولٌ مُتتبَّعٌ جمُّ التنحنُح منعبٌ ميهور

وذلك أنه شهد رَيسان أبا بحير بن ريسان يخطب ، وقد شهدت أنا هذه الخطبة ولم أرجبانا قط أجرأ منه ، ولا جريئا قط أجبن منه

وقال الاشل الازرقى — من بعض أخوال عمران بن حطان الصفرى القعدى — فى زيد بن جندب الايادى خطيب الازارقة ، واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل البكرى

تَحنَحَ زَيْدٌ وسعَلْ لما رَآى وقعَ الأَسَلْ
ويْلُ امِّهِ اذَا ارْتَجَلْ ثم أطال واحتفلْ

وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الايادى الخطيب الازرقى فى مرثيته لابى دواد بن جرير الايادى حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد فقال :

كقُسِّ إيادٍ أوْ لَقِيطِ بنِ مَعْبَدٍ وعُذْرَةَ والمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَبِ

وزيد بن جندب هو الذى يقول فى الاختلاف الذى وقع بين الازارقة :

قُلْ لِلْمُحِلِّينَ قَد قَرَّتْ عُيونكم بِفُرْقَةِ القَوْمِ والبغضاء والهَرَبِ
كنا اناساً على دِينٍ فَفَرَّقَنا فرْعُ الكلاَمِ وخَلطُ الجِدِّ باللَّعِبِ
ما كان أغنى رِجالاً صَلَّ سَعْيُهُمُ عن الجِدالِ وأغْناهُمْ عن الخُطَبِ
إنِّى لأَهْوَنُكُمْ فى الارضِ مُضْطَرَباً مالى سِوَى فَرَسِى والرُّمْحِ من نشَبِ

وأما عذرة المذكور فى البيت الاول فهو عذرة بن حجرة الخطيب الايادى ، ويدل على قدره فيهم ، وعلى قدره فى اللسن والخطب قول شاعرهم :

وأىُّ فتى صَبْرٌ عَلى الأَيْنِ والظَّمَا اذا اعتَصَرُوا للَّوحِ ماءَ فِظاظِها(١)
إذا ضَرَّجوها ساعَةً بدِمائِها وحُلَّ عن الكَوْماءِ عَقْدُ شِظاظِها(٢)

(١) الاين : الاعياء من السير الطويل الشاق . اللوح : العطش . ماء الفظاظ : ماء فرث البعير . وكانت العرب اذا ازمعت سفراً بعيدا او اجتياز مفازة شاقة سقوا إبلهم ثم شدوا أفواهها لئلا تجتر فاذا أخذ منهم الظمأ شقوا بطن البعير واعتصروا فرثه وشربوا منه (٢) الكوماء : الناقة التامة الخلق العظيمة السنام . عقد الشظاظ

فانكَ ضحّاكٌ الى كلّ صاحبٍ وأنطقُ من قُسٍّ غداةَ عُكاظِها (١)

إذا شعب المولى مشاعب معشر فعُذْرَةُ فيها آخذٌ بكِظاظِها (٢)

فلم يضرب هذا الشاعر الايادى، المثل لهذا الخطيب الايادى. الا برجل من خطب إياد، وهو قس بن ساعدة. ولم يضرب صاحب مرثية أبى دواد بن جرير الايادى المثل الا بخطباء اياد فقط، ولم يفتقر الى غيرهم حيث قال فى عذرة بن حجرة:

كقُسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبدٍ (٣) وعذْرةَ والمنْطِيقِ زيدِ بْنِ جُنْدَبِ

وأول هذه المرثية قوله.

نَعَى ابنَ جَريرٍ جاهلٌ بمُصابِهِ فَعَمَّ نِزاراً بالبُكا والتحَوُّبِ (٤)

نَعاهُ لنا كاللَّيثِ يَحْمى عَرِينَهُ وكالبدرِ يَغْشَى ضَوْءُهُ كلَّ كَوْكَبِ

وأصبر من عود وأهدى اذا سرى من النجم في داج من الليل غيهب (٥)

وأضْرَبُ من حَدِّ السِّنان لسانُه وأمضَى من السَّيفِ الحُسامِ المُشَطَّبِ

زَعيمِ نِزارٍ كلِّها وخطيبُها اذا قال طاطا رأسَه كلُّ مِشْعَبِ

سَليلُ قُروم سادة ثم قالةٍ يَبُزْنَ يومَ الجمع أهلَ المحصَّبِ (٦)

كقُسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبد وعذرة والمنْطِيقِ زيدِ بن جُنْدَبِ

فى كلمة له طويلة. وإياهم عنى الشاعر بقوله:

خشبة تدخل في عرى الغرائر

(١) قس: هو قس بن ساعدة الايادى خطيب العرب ونذيرها. سمعه النبى وهو صغير فى عكاظ وتحدث بخطبته، وكفى بهذا شرفاً. وقد عمر كثيرا وفى طول عمره اختلاف أقله ٣٨٠ وأكثره ٧٠٠ وتوفى قبل البعثة

(٢) لقيط بن معبد. وصاحب الاغانى يسميه لقيط بن يعمر: شاعر جاهلى قديم عرف بقصيدته التى ينذر بها قومه غزو الفرس لهم

(٣) التحوب: التوجع (٤) واصبر من عود: واصبر من بعير (٥) قروم: سادة امجاد. يبزون: يغلبون

يَرْمُونَ بِالخطَبِ الطوالِ وَتَارَةً وَحْيَ المَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ

قال أخبرنى محمد بن عباد بن كاسب كاتب زهير ومولى بجيلة من سبى دابق، وكان شاعراً راوية وطلاَّبة للعلم علامة ، قال: سمعت ابا دواد بن جرير يقول، وقد جرى شيء من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه وصعوبة ذلك المقام وأهواله، فقال: تخليص المعانى رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق من غير أهل البادية بغض ، والنظر فى عيون الناس عى ، ومس اللحية هلك ، والخروج مما بنى عليه اول الكلام اسهاب .وسمعته يقول :رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الاعراب ، وبهاؤها تخير اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه، وأنشدنى بيتاً له فى صفة خطباء اياد وهو قوله :

يَرْمُونَ بِالْخطَبِ الطوال وتارةً وَحْيَ الْمَلاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ

فذكر المبسوط فى موضعه ، والمحذوف فى موضعه، والموجز، والكناية، والوحى باللحظ ،ودلالة الاشارة . وأنشدنى له الثقة فى كلمة له معروفة :

الْجُودُ أَحْسَنُ مَسًّا يا بني مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبُزَّ كُمُوهُ كفُّ مُسْتَلِبِ
مَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَدْفَعَةٌ لِلذَّمِّ لَكِنه يأتي على النَّشَبِ

قال: ثم لم يحفل بها، فادعاها مسلم بن الوليد الأنصارى، أو ادعيت له . وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الكلام

وفى الخطباء من يكون شاعراً ، ويكون إذا تحدّث أو وصف أو احتج بليغاً مفوهاً بيناً . وربما كان خطيباً فقط ، وشاعراً فقط ، وبين اللسان فقط

ومن الشعراء الخطباء الأبيناء الحكماء :قس بن ساعدة الأيادى . والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم . ومن يجمع الخطابة والشعر قليل

وفيهم عمرو بن الاهتم المنقرى ، وهو المكحل . قالوا : كأن شعره فى مجالس الملوك حلل منشرة . قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل للاوسية أى منظر أحسن ؟قالت : قصور بيض فى حدائق خضر . فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بيت عدى بن زيد العبادى :

كدُمَى الْعَاجِ فِي المحاريبِ أو كالْ بيضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ(١)

(١) الدمى: الصور الماثلة . المحاريب : اماكن العبادة

قال : فقال قسامة بن زهير : كلام عمرو بن الاهتم آنق ، وشعره أحسن . هذا وقسامة أحد أبيناء العرب

ومن الخطباء الشعراء :البعيث المجاشعي ، واسمه خداش بن بشر بن لبيد

ومن الخطباء الشعراء:الكميت بن زيد الاسدى.، وكنيته أبو المستهل

ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائى ، وكنيته أبو نفر .

قال القاسم بن معن،قال محمد بن سهل راوية الكميت: أنشدت الكميت قول الطرماح:

اذا قُبِضَتْ نَفْسُ الطِّرِمّاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى المجدِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ القَصَائِدِ

فقال الكميت : إى والله ، وعنان الخطابة والرواية

قال ابو عثمان الجاحظ : ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح . وكان الكميت عدنانياً عصبياً ، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً . وكان الكميت شيعياً من الغالية ، وكان الطرماح خارجياً من الصفرية . وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة ، وكان الطرماح لأهل الشام . وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة مالم يكن بين نفسين قط . ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض ولا شيء مما تدعو هذه الخصال اليه ، ولم ير الناس مثلهما إلا ماذكروا من حال عبدالله بن زيد الاباضي، وهشام بن الحكم الرافضي ، فانهما صارا الى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة. وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، الحال التى تدعو الى المفارقة بعد المناقشة والمحاسدة ، للذى اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة . فكان يقال:لولا أنهما أحلم تميم لتباينا تباين النمر والأسد. وكذلك كانت حال هشام ابن حكم الرافضي وعبد الله بن زيد الاباضى، إلا أنهما فضلا على سائر المتضادين بما صارا اليه من الشركة في جميع تجارتهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال : ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية . فلم يعارضه شبيب

وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الاشراف

ومن الخطباء الشعراء: عمران بن حطان ، (١) وكنيته ابو شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان اخوة سدوس

---

(١) عمران بن حطان شاعر فصيح من شعراء الخوارج ودعاتهم، ادرك صدراً من الصحابة وروى عنهم وروى عنه اصحاب الحديث . ثم صار من الشراة الخوارج. طلبه الحجاج ففر منه وله فى فراره خطوب وأحداث . وكان بليغاً مبيناً

فمن بني عمرو بن شيبان، مع قلتهم من العلماء والخطباء والشعراء:
عمران بن حطان رئيس القعدة من الصفرية، وصاحب فتياهم، ومقرعهم عند اختلافهم
ومنهم دَغفل بن حنظلة النسابه الخطيب العلامة
ومنهم القعقاع بن شور
وسنذكر شأنهم اذا انتهينا الى موضع ذكرهم ان شاء الله تعالى
ومن الخطباء الشعراء: نصر بن سيار أحد بني ليث بن بكر صاحب خراسان وهو يعد في أصحاب الولايات، وفي الحروب، وفي التدبير، وفي العقل وشدة الرأى
ومن الخطباء الشعراء: زيد بن جندب الأيادى، وقد ذكرنا شأنه
ومن الخطباء الشعراء: عجلان بن سحبان الباهلى. وسحبان هذا هو سحبان وائل، وهو خطيب العرب
ومن الخطباء الشعراء، العلماء وممن قد تنافر اليه الاشراف: أعشى همدان
ومن الشعراء الخطباء: عمران بن عصام العنزى. وهو الذى أشار على عبد الملك بخلع أخيه عبد العزيز، والبيعة للوليد بن عبد الملك، في خطبته المشهورة، وقصيدته المذكوره. وهو الذى لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال: ولم قتله ويله؟ هلا رعى له قوله فيه:

وبعثت من وَلَدِ الأغَرِّ معتبٍ ... صَقْراً يَلُوذُ حَمَامُه بالعَرْفَجِ
فإذا طبخت بنارِهِ أنضجتها ... وإذا طبخت بغيرِها لم ينضَجِ
وهو الهِزَبْرُ إذ أراد فَرِيسةً ... لم يُنجها منهُ صِياحُ الهجهج(١)

ومن خطباء الامصار وشعرائهم والمولدين منهم: بشار الأعمى. وهو بشار بن برد وكنيته ابو معاذ. كان من أحد موالى بني عقيل، فان كان مولى أم ظباء - على مايقول بنو سدوس وما ذكره حماد عجرد - فهو من موالى بني سدوس. ويقال انه من أهل خراسان نازلا فى بني عقيل. وله مديح كثير فى فرسان أهل خراسان ورجالاتهم وهو الذى يقول:

مِنْ خُرَاسَانَ وبيتي في الذُّرى ... ولَدَى المَسْعَاةِ فرعى قد سَبَقْ
وإني لِمَنْ قومٍ خُراسانُ دارُهم ... كرامٍ وفرْعي فيهِمُ ناضرٌ بسَق

وكان شاعراً راجزاً سجاعاً خطيباً صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة.

(١) صياح الهجهج: هو الصياح لطرد الاسد وزجره

وأنشد عُقْبَةُ بنُ رُؤْبَةٍ عُقْبَةَ بنَ سَلْمٍ رجزاً يمتدحه فيه وبشار حاضر ،فأظهر بشار استحسان الارجوزة ، فقال عقبة بن رؤبة : هذا طراز يا أبا معاذ لاتحسنه . فقال بشار : ألمثلي يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة بن سلم بارجوزته التي أولها :

ياطَلَلَ الحيِّ بذاتِ الصَّمْدِ باللهِ خَبِّرْ كَيفَ كنتَ بعدِي

وهي التي يقول فيها :

إسْلَمْ وحُيِّيتَ أَبَا المُلَيْ لله أيامُك فِي معَدِّ

وفيها يقول :

الحرُّ يُلْحَى والعَصا للعبدِ وليسَ للمُلْحِفِ مثل الرَّدِّ

ويقول فيها :

وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ حَمَلْتُهُ في رُقْعَةٍ من جِلْدِي

وما وَراءَ رغبتي من زُهْدِي

أي لم أره زهداً فيه ولا رغبة . ذهب الى قول الشاعر :

لقد كنتَ في قومٍ عليك أَشِحَّةٍ بنفسكَ لولا أن منْ طاحَ طائِحُ

يَوَدُّونَ لو خاطُوا عليكَ جلودَهم ولا تَدْفَعُ الموْتَ النفوسُ الشحائِحُ

والمطبوعون على الشعر من المولدين : بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية ، وابن أبي عيينة . وقد ذكر الناس في هذا الباب : يحيى بن نوفل ، وسلما الخاسر ، وخلف بن خليفة : وأبان بن عبد الحميد اللاحق أولى بالطبع من هؤلاء، وبشار أطبعهم كلهمْ .

ومن الخطباء الشعراء ، وممن يؤلف الكلام الجيد ، ويصنع المناقلات الحسان، ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة ، مع بيان عجيب ، ورواية كثيرة ، وحسن دَلّ وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأب ، أحد بني ليث بن بكر ، وكنيته ابو الوليد

ومن الخطباء الشعراء،ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد ، والرسائل الفاخرة ، مع البيان الحسن: كلثوم بن عمرو العتابي ، وكنيته أبو عمرو . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين ، كنحو منصور

النمرى ، ومسلم بن الوليد الانصارى ، وأشباههما . وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع ، ولم يكن فى المولدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة . والعتابى من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :

إني امرؤٌ هَدَمَ الإقْتارُ مأثُرتى ... واجتاحَ مابَنَتِ الأيامُ مِنْ خَطَرِى

أيام عمرو بن كُلْثُومٍ يُسَوِّدُهُ ... حَيًّا ربيعةَ والأفناءَ من مُضَرِ

أُرُومَةٌ عَطَّلَتْنِى من مَكَارِمِها ... كالقَوْسِ عَطَّلها الرَّامي مِن الوَتَرِ

ودل فى هذه القصيدة على انه كان قصيراً قوله :

نَهى ظِرافَ الغَوانِي عن مُواصَلَتِي ... مايَفْجَأُ العَيْنَ من شَيْبي ومن قِصَرِى

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب ، والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المجلدة ، والسير الحسان المولدة ، والاخبار المدونة : سهل بن هرون بن راهيبونى (١) الكاتب ، صاحب كتاب « ثعلة وعفرة » فى معارضة كتاب « كليلة ودمنة » وكتاب « الاخوان » وكتاب « المسائل » وكتاب « المخزومى والهذلية » وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء : على بن ابرهيم بن جبلة بن مخرمة ، ولا أعلمه يكنى الا أبا الحسن

وسنذكر كلام قس بن ساعدة ، وشأن انيط بن معبد ، وهند بنت الخس ، وخمعة (٢) بنت حابس ، وخطباء إياد ، اذا صرنا الى ذكر خطباء القبائل ان شاء الله

---

(١) سهل بن هرون بن راهبون ، ويكنى أبا عمر ، أصله من نيسابور ونزل البصرة ، تفرد فى زمانه بالبلاغة والحكمة وسعة البيان ، وكان يميل الى مذهب الشعوبية الذين يدينون ببغض العرب . اعجب المأمون ببلاغته وعقله فولاه خزانة الحكمة ، وهى التى كانت تحوى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرس . صنف كتباً كثيرة عارض بها كتب الاوائل حتى لقب « بزرجمهر الاسلام » وله نظم جيد ونثر فائق . ولقد كان الجاحظ كثير الاعجاب به والنقل عنه ، وله رسالة فى البخل هى آية من الآيات ، وكان بخيلا ظريفاً ، وله فى البخل نوادر معجبه

(٢) خمعة بنت حابس . وفى الاصل : جمعه . وهذا خطأ لا أدرى اذا كان من النساخ أو كان من الجاحظ ، غير أننى تحققت أن صحة الاسم « خمعه » كما ضبطه صاحب العباب والمحكم ، وابن الشجرى فى كتابه ما اتفق لفظه واختلف معناه ، وكذلك رواه

ولا ياد وتميم فى الخطب خصلة ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله ﷺ هو الذى روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته ،وهو رواه لقريش والعرب ، وهو الذى عجب من حسنه وأظهر من تصويبه . وهذا إسناد تعجز عنه الامانى، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولاظهاره معنى الاخلاص ، وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيب العرب قاطبة .

وكذلك ليس لأحد فى ذلك مثل الذى لبنى تميم ، لأن رسول الله ﷺ لما سأل عَمْرَو بْنَ الأَهْتَمِ عن الزِّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ قال : مانع لحوزته ، مطاع فى أديه . فقال الزِّبْرِقَان : أما إنه قد علم أكثر مما قال ، لكنه حسدنى شرفى . فقال عمرو : أما لئن قال ماقال . فوالله ماعلمته إلا ضيق الصدر ، زَمِرَ المروءة ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فلما رأى انه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار فى عين رسول الله ﷺ قال : يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ماعلمت ، وغضبت فقلت أقبح ماعلمت ، وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الآخرة . فقال النبى ﷺ عند ذلك : إن من البيان لسحرا

فهاتان الخصلتان خصت بهما إياد وتميم دون سائر القبائل

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس . فجلس على الارض . فقال معاوية : مامنعك يا أحنف من الجلوس على الوساد ؟ فقال يا أمير المؤمنين : إن فيما أوصى به قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ المِنْقَرِىُّ ولده أن قال : لاتفشَ السلطان حتى يملّك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولاتجلس له على فراش ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فانه عسى أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصاً عليك . حسبى بهذا المجلس ياأمير المؤمنين لعله أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منى . فقال معاوية: لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشى الكلام، وأنشأ يقول :

يأيُّها السائلُ عمَّا مَضَى ... وعلمِ هذا الزمنِ العائبِ

ان كنتَ تبغي العلم أو أهلهُ ... أو شاهداً يُخبرُ عن غائبِ

القاضى عياض فى شرحه لحديث ام زرع . والمعروف انها بنت الخس اخت هند

فاعتبر الأرضَ بسكانها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

وذهب الشاعر فى مرثية أبى دؤاد فى قوله :

وأصبرُ من عودٍ وأهدَى اذا سرَى من النجمِ فى داجٍ من الليل غيهبِ

هـذا شبيه بقول جبار بن سلمان بن مالك بن جعفر بن كلاب حين وقف على قبر عامر بن الطفيل فقال : كان والله لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش البعير ، ولا يهاب حتى يهاب السيل . وكان والله خير مايكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا

وكان زيد بن جندب أشغى أقلح ، ولولا ذلك لـكان أخطب العرب قاطبـة . وقال عبيدة بن هلال اليشكرى فى هجائه له :

أشغى عفنباةٌ وناب ذوعصلْ وقلحٌ بادٍ وسنٌ قد نصلْ (١)

وقال عبيدة أيضاً فيه :

ولفوكَ أشنعُ حينَ تنطقُ فارغاً من في قريعٍ قد أصابَ بريرا (٢)

وقال الـكميت :

تشبّه بالهـامِ آثارها مشافرَ قُرْحاً أكلنَ البريرا

وقال أخو النمر بن تولب فى شنعة أشداق الجمل :

كم ضربةٍ لكَ تحكى فا قُراسيةٍ من المصاعبِ في أشداقهِ شنعُ

وفى الخطباء من كان أشغى ، ومن كان أروق ، ومن كان أشدق ، ومن كان أضجم ، ومن كان أفقم

القراسية : بعير أضجم ، والضجم اعوجاج فى الفم . والفقم مثله ، والرَّوَق ركوب السن الشفة . وفى كل ذلك روينا الشاهد والمثل

وروى الهيثم بن عدىٍّ ، عن أبى يعقوب الثقفى ، عن عبد الملك بن عمير قال : قدم علينا الأحنف الـكوفة مع مصعب بن الزبير ، فما رأيت خصلة تذم فى رجل إلا

(١) اشغى : بارز الاسنـان العليـا . عفنباة : حاد المخالب . ناب ذوعصل : ناب معوج . القلح : صفرة الاسنان . والسن الناصل : الخارج . (٢) البرير : ثمر الاراك أول

وقد رأيتها فيه . كان أصعل الرأس ، أحجن الأنف ، أغضف الأذن، متراكب الاسنان ، أشدق ، مائل الذقن ، نائى الوجنة ، باخق العين ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين (١) ولكنه إذا تكلم جلى عن نفسه .

ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضاً لمنعة ، ولولا انه لم يجد بداً من أن يجعل له شيئاً على حال لما أقر بأنه إذا تكلم جلى عن نفسه

وقولنا فى كلمته هذه كقول هند بنت عتبة حين أتاها نعى يزيد بن أبى سفيان ، وقال لها بعض المعزين : إنا لنرجو أن يكون فى معاوية خلف من يزيد ، فقالت هند: ومثل معاوية لا يكون خلفاً من أحد، فوالله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها لخرج من أى أعراضها شاء. ولكنا نقول : أما المثل الأحنف يقال: إلا انه اذا تكلم جلى عن نفسه؟

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول فيما يعترى اللسان من ضروب الافات

قال ابن الاعرابى : طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال :

لثغاء تأتي بجيفس الثغر ... تميس فى الموشى والمصبغ

الجيفس الولد القصير الصغير

وأنشد ابن الاعرابى كلمة جامعة لكثير من هذه المعانى وهو قول الشاعر :

أسكت ولا تنطق فانت حبحاب ... كذلك ذو عيب وأنت عياب

إن صدق القوم فانت كذاب ... أو نطق القوم فأنت هياب

أو سكت القوم فأنت قبقاب ... أو أقدموا يوماً فأنت وجاب

وأنشدنى :

ولست بزميجة فى الفراش ... وجابة يحتمى أن يجيبا

ولا ذى قلازم عند الجياض ... إذا ما الشريب أراب الشريبا

الزميجة : الثقيل عن الحركة . والقلازم : كثرة الصياح :

وأنشدنى :

بغريب ناصح الجيب ... وابن أب متهم الغيب

ظهوره (١) صعل الرأس : الصعل دقة الرأس مع طول . احجن: معوج : اغضف: مسترخى الاذن . باخق : اعور . احنف: الحنف اعوجاج القدمين نحو بعضهما

وَرُبَّ عَيَّابٍ له مَنْظَرٌ مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ على العَيْبِ

وأنشد :

وأجْرَا مَنْ رَأَيْتُ بِظَهْرِ غَيْبٍ على عَيْبِ الرِّجَالِ ذوو العُيُوبِ

وقال سهل بن هرون : لو عرف الزنجى فرط حاجته الى ثناياه فى اقامة الحروف وتكميل جميل البيان لما نزع ثناياه

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو الخطيب : يارسول الله، إنزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبدا

وانما قال ذلك لان سهيلا كان أعلم من شفته السفلى

وقال خلاد بن يزيد الارقط : خطب الجحى خطبة نكاح أصاب فيها معانى الكلام ، وكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زيد بن على ابن الحسين بكلام فى جودة كلامه الا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفير . فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة أسنانه فقال فى كلمة له :

قَلَّتْ قَوَادِحُهَا وتَمَّ عَدِيدُهَا فَلَهُ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لاَ تُنْكَرُ

ويروى : صحت مخارجها وتم حروفها

المزية : الفضيلة

وزعم يحيى بن نجيم بن معاوية بن زمعة أحد رواة أهل البصرة قال : قال يونس ابن حبيب فى تأويل قول الأحنف بن قيس :

أنا ابنُ الزَّافِرِيَّةِ أرْضَعَتْنِى بِثَدْيٍ لا أجَدُّ ولا وَخِيمُ

أتَمَّتْنِى فَلَم تَنْقُص عِظامِى ولا صَوَّتِى إذا اصْطَكَّ الخصُومُ

قال: انما عنى بقوله: عظامى، أسنانه التى فى فمه . وهى التى اذا تمت تمت الحروف. وقال يونس : وكيف يقول مثله : أتمتنى فلم تنقص عظامى ، وهو يريد بالعظام عظام اليدين والرجلين وهو أحنف من رجليه جميعاً مع قول الحتات له : والله لانك ضئيل، وان أمك لورهاء ، وكان أعرف بمواقع العيوب وأبصر بدقيقها وجليلها ؟ وكيف يقول

ذلك وهو نصب عيون الاعداء والشعراء والاكفاء ، وهو أنف مضر الذى تعطس عنه ، وأبين العرب والعجم قاطبة ؟

قالوا : ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة مذ سقطت ثناياه فى الطست

قال أبو الحسن وغيره : لما شق على معاوية سقوط مقادم فمه قال له يزيد بن معن السلمى : والله ما بلغ أحد سنك الا أبغض بعضه بعضا ، ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك . فطابت نفسه

وقال أبو الحسن المدايني : لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال : لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت

قال : وسألت مباركا الزنجى الفاشكار ـ ولا أعلم زنجياً بلغ فى الفشكرة مبلغه ـ فقلت له : لم ينزع الزنجى ثناياه ؟ ولم يحدد ناس منهم أسنانهم ؟ فقال : أما أصحاب التحديد فللقتال والنهش ، ولأنهم يأكلون لحوم الناس ، ومتى حارب ملك ملكا فأخذه قتيلا أو أسيراً أكله . وكذلك اذا حارب بعضهم بعضاً أكل الغالب منهم المغلوب

وأما أصحاب القلع فانهم قالوا : نظرنا الى مقادم أفواه الغنم فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم . فكم تظنهم حفظك الله فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا ؟

وفى هذا كلام يقع فى « كتاب الحيوان » . وقال أبو الهندى فى اللثغ :

سقيت أبا المُطَرِّحِ إذ تأنّى ... وذو الرَّعَثاتِ مُنْتَصِبٌ يَصيحُ

شَرَاباً يَهْرُبُ الذّبانُ عَنهُ ... ويَلْثَغُ حينَ يَشرَبُهُ الفَصيحُ

وقال محمد بن عمرو الرومى ، مولى أمير المؤمنين : قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف منه اذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر

وقد رأينا تصديق ذلك فى أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم وبعد أن بقى منها الثلث أو الربع . فمن سقط جميع أسنانه ، وكان معنى كلامه مفهوماً ، الوليد بن هشام القحذمى صاحب الاخبار . ومنهم أبو سفيان ، والعلاء بن لبيد التغلبي ، وكان ذا بيان ولسن . وكان عبيد الله بن ابى غسان ظريفا يصرّف لسانه كيف أحب . وكان الالحاح على القيس (؟) قد برد أسنانه حتى كان لا يرى أحد منها شيئا الا أن تطلع فى لحم اللثة ، وفى أصول منابت الاسنان . وكان سفيان بن الابرد

الكلى كثيرا ما يجمع بين القار والحار ،فتساقطت أسنانه جميعا، وكان مع ذلك خطيبا بينا

وقال اهل التجربة : اذا كان فى اللحم الذى فيه مغارز الاسنان تشمير وقصر سمك ،ذهبت الحروف وفسد البيان ،واذا وجداللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه ولم يمر فى هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة فمه لم يضره سقوط اسنانه الا بالمقدار المغتفر ، والجزء المحتمل . ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم فى « كتاب الحيوان » أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسانه الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين،وأحكى لما يلفن ولما يسمع كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك ، وكالذى يتهيأ من أفواه السنانير اذا تجاوبت من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس . فاما الغنم فليس يمكنها أن تقول الا « ماء» والميم والباء أول ما يتهيأ فى أفواه الاطفال كقولهم:ماما ، و: بابا.لانهماخارجان من عمل اللسان ، وانهما يظهران بالتقاء الشفتين .وليس شىء من الحروف أدخل فى باب النقص والعجز من فم الاهتم من الفاء والسين اذا كانا فى وسط الكلمة . فاما الصاد فليس تخرج الا من الشدق الايمن الا أن يكون المتكلم أعسر يسراً مثل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان يخرج الضادمن أى شدقية شاء.فأما الايمن والاعسر والاضبط ،فليس يمكنهم ذلك الا بالاستكراه الشديد . وكذلك الانفاس مقسومة المنخرين ، فحالا يكون الاسترواح ودفع البخار من الجوف من الشق الايمن ،وحالا يكون من الشق الايسر ، ولا يجتمعان على ذلك فى وقت الا أن يستكره ذلك مستكره ،أو يتكلفه متكلف . فاما اذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن الا كما قالوا

وقالوا: الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع له قول كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الانصار فقال :أرادى أنت الى الكفر بعد الايمان ؟ لا أهجو قوما نصروا رسول الله ﷺ وآووه . ولكنى ساادلك على غلام فى الحى كافر كان لسانه لسان ثور . يعنى الاخطل . وجاء فى الحديث « أن الله تبارك وتعالى يبغض الرجل يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلى باسنانها » . قالوا: ويدل على ذلك قول حسان بن ثابت حين قال له النبى ﷺ ما بقى من لسانك ؟ فاخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ثم قال : والله إنى لو وضعته على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه،وما يسرنى به مقول من معد. وأبوالسمط (١)

(١) ابو السمط ، فى الاصل: ابو الصمت .وهو خطأ وما اثبتناه هو الصواب

مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة وأبوه، وابنه فى نسق واحد يقرءون باطراف ألسنتهم أطراف آنفهم

وتقول الهند: لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر يتهيأ فى لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة

وقد ضرب الذين يزعمون أن ذهاب جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين فى ذلك مثلا فقالوا : الحمام المقصوص جناحاه جميعاً أجدر أن يطير من الذى يكون أحدهما وافراً والآخر مقصوصا ، قالوا، وعلة ذلك ، التعديل والاستواء ، واذا لم يكن كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر فلم يجذف ولم يطر . والقطا من الطير قد يتهيأ من أفواه ا أن تقول « قطا قطا » و بذلك سميت. و يتهيأ من أفواه الكلاب العينات، والفا آت، والواوات، كنحو قولها « و و، و و » وكنحو قولها « عف ، عف » قال الهيثم بن عدى : قيل لصبي : من أبوك ؟ قال « و و، و و » لان أباه كان يسمى كلبا

ولكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين ، واستعمال الجرامقة للعين . قال الاصمعى : ليس للروم ضاد ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسريان دال

ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر، وإن كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها الا ببعض استكراه . فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَبرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرٌ وليسَ قُربَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

ولما رأى من لاعلم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم : ان ذلك انما اعتراه اذ كان من أشعار الجن ، صدقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن بشير فى أحمد بن يوسف حين استبطأه:

هل مُعينٌ على البُكا والعَويلِ أم مُعَزٍّ على المُصابِ الجَليلِ

مَيِّتٌ ماتَ وهو في وَرَقِ العَيْـ ـشِ ، مقيمٌ به ، وظِلِّ ظَليلِ

في عِدادِ الموتى وفي غامِرِ الدنيا أبو جعفر أخي وخليـلي

لم يَمُتْ مَيتَةَ الوَفاةِ ولكن ماتَ مِن كُلِّ صالحٍ وجَميلِ

لا أُذِيلُ الآمالَ بَعْدَكَ إنّى ... بَعْدَهَا بالآمالِ حَوَّلُ بخيلِ

كم لها موقفاً بباب صَدِيقٍ ... رَجَعَتْ من نَداهُ بالتَّعْطِيلِ

ثم قال :

لم يُضِرْها والحمدُ لله شيءٌ ... وانْثَنَتْ نحوَ عُرْفِ نَفْسٍ زهولِ

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض وأنشدنى أبو العاصى ، قال أنشدنى خلف الاحمر فى هذا المعنى :

وبعضُ قَرِيضِ القَوْمِ أولادُ عَلّةٍ ... يُكِدُّ لسانَ النَّاطِقِ المتحفِّظِ

وقال أبو العاصى : أنشدنى فى ذلك أبو البيداء الرياحى :

وشِعرٌ كَبِعْرِ الكَبْشِ فَرَّقَ بينه ... لسانُ دَعِيٍّ فى القَرِيضِ دَخِيلِ

أما قول خلف « وبعض قريض القوم أولاد علة » فانه يقول : اذ كان الشعر متسكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات ، واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضياً موافقاً كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤونة . وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً ، وسبك سبكا واحداً ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان

وأما قوله « كبعر الكبش » فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لمسا ولينة المعاطف سهلة . وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكده . والاخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة مواتية (١) سلسة النظام ، خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد

قال سحيم بن حفص : قالت بنت الحطيئة للحطيئة : تركت قوماً كراماً ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش ؟ فما بتهم بتفرق بيوتهم . فقيل لهم : فانشدونا بعض مالا تتنافر أجزاؤه ولا تتباين ألفاظه ، فقالوا : قال الثقفى :

(١) كان فى الاصل متوانية سليسة وليس هذا بشىء فأصلحناها كما هى مثبتة هنا

مَن كانَ ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامَتَهُ إن الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدُ
تَنبُو يداه إذا ما قلَّ ناصرُه وَيأنفُ الضَّيْمَ إن أثْرَى له عَدَدُ

وأنشدوا :

رَمَتنى وَسِترُ اللهِ بينى وبينها عشيةَ أرآمِ الكِناس رميمُ
رميمُ التي قالتْ لجاراتِ بَيتِها ضَمِنْتُ لكم أن لا يزالَ بهيمُ
ألا رَبَّ يومٍ لو رَمَتْني رَمَيْتُها ولكنَّ عهدى بالنِّضالِ قديمُ

وأنشدوا :

ولستُ بِزِمّيجَةٍ في الفراش وجَابَةِ بَحتمي أن يُجيبا
ولاذى قلازِمَ عندالحياضِ إذاماالشَّريبُ أرَابَ الشريبا

قال نَوْفَلُ بنُ سالم لِرُؤبَةَ بنِ العَجّاج : يا أبَا الجَحّاف، مُت متى شئت . قال: وكيف ذلك ؟ قال : رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزاً أعجبنى . قال : إنه يقول لو كان لقوله قِرَان . وقال الشاعر :

مَهَارِبَةٌ مَناجِبَةٌ قِرانٌ مَنادِبَةٌ كأنَّهم الأُسُودُ (١)

وأنشد ابنُ الأعْرَابى :

وباتَ يَدْرُسُ شِعْراً لا قِرَانَ لَهُ قد كانَ ثَقَّفَهُ حَوْلاً فما زادَا

وقال بشار :

فهذَا بَدِيهٌ لا كتحْبِير قائلٍ إذَامَا أرَادَالقولَ زوّره شَهرا

فهذا فى افتراق الالفاظ ، فاما افتراق الحروف فان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير . والزاى لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير .

وهذا باب كثير وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التى اليها يجرى وقد يتكلم المغلاق الذى نشأ فى سواد الكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون لفظه

(١) مهاربة : مسارعون : قران : متماثلون

متخيراً فاخراً ، ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطيّ . وكذلك اذا تكلم الخراسانى على هذه الصفة فانك تعرف مع اعرابه وتخير ألفاظه فى مخرج كلامه أنه خراسانى . وكذلك إن كان من كتاب الأهْوَاز . ومع هـذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئا ، وكذلك تكون حكايته للخراسانى ، والاهوازى ، والزنجى والسندى ، والحبشي (١) وغير ذلك . نعم حتى تجده كانه أطبع منهم . فاما اذا حكى كلام الفأفاء فكأنما قد جمعت كل طرفة فى كل فأفاء فى الارض فى لسان واحد ، كما أنك تجده يحكى الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف اعمى واحداً يجمع ذلك كله ، فكانه قد جمع جمع طرف (٢) حركات العميان فى أعمى واحد .

ولقد كان أبو دبُّوبة الزنجى مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق فلا يبقى حمار مريض ، ولا هرم حسير ، ولا متعب بهير ، إلا نهق . وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دبوبة يحركه . وكأنه قد جمع جميع الصور التى تجمع نهيق الحمار فجعلها فى نهيق واحد . وكذلك فى نباح الكلاب . ولذلك زعمت الاوائل أن الانسان انما قيل له : العالم الصغير سليل العالم الكبير ، لانه يصور بيده كل صورة ، ويحكى بفمه كل حكاية ، ولانه ياكل النبات كما تاكل البهائم ، ويأكل الحيوان كما تاكل السباع ، وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالا . وانما تهيأ وأمكن الحاكية بجميع مخارج الامم لما أعطى الله الانسان من الاستطاعة والتمكن ، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة ، فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصوراً بعادة المنشأ على الشكل الذى لم يزل فيه

وهـذه القضية مقصورة على هـذه الجملة من مخارج الالفاظ وصور الحركات والسكون . فاما حروف الكلام فان حكمها اذا تمكنت فى الالسنة خلاف هـذا الحكم . ألا ترى أن السندى اذا جاب كبيرا فانه لا يستطيع الا أن يجعل الجيم

(١) والحبشي . كان فى الاصل : الاجناس وليس هذا مقامها فمحوناها واثبتنا مكانها الحبشى كما يقتضيه السياق (٢) كان فى الاصل كلمة طرق ولم نر لها موقعاً هنا والاليق بهذا المقام كلمة « طرف » كما اثبتناها

زايا ولو أقام فى عليا تميم ، وسفلى قيس ، وبين عجز هوازن ، خمسين عاما ؟ وكذلك النبطى القح خلاف المغلاق الذى نشأ فى بلاد النبط ، لان النبطى القح يجعل الزاى سينا ، فاذا أراد أن يقول : زورق . قال : سورق . ويجعل السين همزة ، فاذا أراد أن يقول : مشمعل ، قال : مشمئل . والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بان تقول ناعمة ، وتقول شمس ثلاث مرات متواليات

والذى يعترى اللسان مما يمنع من البيان أمور : منها اللثغة التى تعترى الصبيان الى أن ينشؤا ، وهو خلاف ما يعترى الشيخ الهرم الماج المسترخى الحنك المرتفع اللثة ، وخلاف ما يعترى أصحاب اللكن من العجم ومن نشأ من العرب مع العجم

فمن اللكن ، ممن كان خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً زياد بن سلمى ابو امامة وهو زياد الاعجم ، قال ابو عبيدة : كان ينشد قوله :

فَتًى زادَهُ السلطانُ في الودّ رِفعةً إذا غيَّر السُّلطانُ كلَّ خليلِ

قال : كان يجعل السين شينا ، والطاء تاء ، فيقول :

فتى زاده الشلتان في الود رفعة

ومنهم سحيم عبد بنى الحسحاس قال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وانشده قصيدته التى اولها :

عُمَيرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيا كفَى الشَّيْبُ والاسلامُ للمرءِ ناهِيا

لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك

(هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب : لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (١))

قال : ما سعرت . يريد ما شعرت . فجعل الشين المعجمة سيناً غير معجمة

ومنهم عبيد الله بن زياد والى العراق ، قال لهانىء بن قبيصة : أهروري سائر اليوم ؟ يريد أحروري

ومنهم صهيب بن سنان النمرى صاحب رسول الله ﷺ ، كان يقول . إنك لهائن يريد : انك لخائن . وصهيب بن سنان يرتصخ لكنة رومية . وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية . وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء وازدا نقاذار لكنته نبطية ، وكان مثلهما فى جعل الحاء هاء . وبعضهم يروى أنه أملى على كاتب له فقال

(١) هذه العبارة ، التى بين القوسين ، يظهر انها ليست من أصل الكتاب ، ولعلها حاشية علقها بعض قدماء المطلعين عليه . واذ قامت بنا هذه الشبهة وضعنا العبارة بين قوسين ونبهنا عليها

كتب : الهاصل ألف كر. فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها ، فأعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب . فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال : أنت لا تحسن أن تكتب وأنا لا أحسن أن أملى ، فا كتب : الجاصل الف كر . فكتبها بالجيم معجمة

ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة ، كان جيد الالفاظ جيد المعانى ، وكان اذا أراد أن يقول : قلت له ، قال: كلت له. فشارك فى تحويل القاف كافا عبيد الله بن زياد. كذلك خبرنا أبو عبيدة ، وانما أتى عبيد الله بن زياد فى ذلك أنه نشأ فى الأساورة عند شيرَوَيهِ الاسوارى زوج أمه مرجانة . وقد كان فى آل زياد غير واحد يسمى شيرويه . قال : وفى دار شيرويه عاد على بن ابى طالب كرم الله وجهه زياداً فى علة كانت به

فهذا ما حضرنا من لكنة البلغاء والشعراء والرؤساء ، فاما لكنة العامة ومن لم يكن له حظ فى المنطق فمثل قيل مولى زياد ، فانه مرة قال لزياد : أهدوا الينا همار وهش. يريد : حمار وحش . قال زياد: وأى شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا الينا أيراً . يريد :عيراً . فقال زياد :الاول أهون .وقالت أم ولد لجرير بن الخطفى لبعض ولدها :وقع الجردان فى عجان أمكم : أبدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم وجعلت العجين عجانا. قال بعض الشعراء فى أم ولد له يذكر لكنتها

أكثر ما أسمَعُ منها في السَّحَرْ تذكيرَها الأُنثى وتأنيثَ الذَّكَرْ
والسوأة السوآءُ في ذِكر القَمَرْ

لانها كانت اذا أرادت أن تقول : القمر. قالت:الكمر. وقال ابن عباد:ركبت عجوز سندية جملا فلما مشى تحتها متخاما اعتراها كهيئة حركة الجماع فقالت . هذا الذمل يذكرنا بالسر . تريد أنه يذكرها بالوطء . فجعلت الشين سينا والجيم ذالا . وهذا كثير

وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطى : لم ابتعت هذه الاتان ؟ قال . أركبها وتلد لى:فقد جاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنه فتح المكسور حين قال: تلد لى ، ولم يقل تلِد لى . والصقلى يجعل الذال المعجمة دالا فى الحروف